ما هي حتمية كفارة المسيح؟

د. داود رياض أرسانيوس
دكتوراه الفلسفة من فولر
في الدفاع عن الإيمان

الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة
7 ش الشيخ ريحان – جاردن سيتي

رقم الإيداع بدار الكتب: 7011 / 2001
دار الطباعة القومية بالفجالة
5905486

المحتويات

تقديم

شخصية المسيح من أكثر الشخصيات التي دار حولها جدل عنيف لم تنطفئ جذوته على مدار ما يقرب من ألفى عام، فقد كانت ولادته محل أسئلة وجدال، وكانت حياته مثار تعليق ونقاش، ثم أصبح موته تحوُّلا في مسار البشرية الفكري والاعتقادي، وبسببه قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن.

وكان من المتوقع أن تهدأ عاصفة الحوار حول شخصية المسيح الذي فيه نرى كمال البشرية، وكمال الألوهية، بانتشار أسفار العهد الجديد، واعتبار كلمتها كلمة الفصل في الجدل القائم. غير أن طبيعة البشر التي فُطرت على الخلاف والاختلاف، أبت إلا أن تفكر، ثم تنظر وتفكر، فمنها من آمن، ومنها منْ أصرَّ واستكبر.

وعقدت المجامع الكنسية وخرجت الفرمانات تحسم الموقف، وما له من حاسم! والبشرية مختلفة منقسمة ومازالت!!

وإذا كانت حياة المسيح ومعجزاته لم توجّه الفكر البشري إلى اتجاه واحد، ولم يكن صلبه وتألمه دافعاً لهذه الوحدة، ولم تفلح كتابات تلاميذه وشهود العيان في تحقيق الخلاص للبشرية جمعاء، فنحن لا ندعى لهذا البحث، ولا نطمع لهذه الدراسة أن تحقق هذا، بل حسبنا أنه جهد نضعه أمام فادينا ومخلصنا يسوع المسيح، شهادة لنا قبل غيرنا. رافعين صلواتنا أن يكون بركة لمن يقرأه، وأن يهدينا سواء السبيل.

وقد رجعت هذه الدراسة للمراجع الموثقة كابن كثير والطبري والرازي وإلى الأحاديث الصحيحة كما في الصحيحين (البخاري ومسلم)، وغيرها من مراجع موثّقة.

أمير ريشاوى

مقدمة

هذا الكتاب يحاول أن يبسط الإجابة على السؤال الأساسي: لماذا كانت الكفارة أمراً حتمياً؟ في نفس الوقت يقدم الإجابة المبسطة عن ما هية الخطية، ولماذا أجرة الخطية موت؟ وهل هناك دواء للخطية؟ ولماذا كان العلاج من خلال الذبائح والكفارة؟

ثم ينتقل في الفصل الثاني للإجابة على أهم التساؤلات حول الكفارة، وما هو المطلوب لغفران الخطية؟ وهل تنفع أعمالنا لتحقيق الكفارة والغفران؟ وما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في حضرة الله؟ وما هي حتمية الكفارة؟ وكيف قدم الله العلاج عندما عجز البشر عن التكفير عن خطاياهم بأنفسهم؟ أما الفصل الثالث فيقدم الأدلة النقلية والعقلية. ويقدم شهادة التوراة والإنجيل.

أما الفصل الأخير فيقدم الأدلة العقلية من ناحية الإشكالات المنطقية، وشهادة بعض العلماء غير المسيحيين. مع تناول سريع لأقوى أدلة تاريخية مادية باقية لليوم وهي القبر الفارغ والكفن المقدس. ومع ذلك نحن نعتمد على الإيمان أكثر من أي دليل آخر. والدفاع عن الإيمان لا يحتاج أن يتبع قاعدة: "إن الهجوم خير وسيلة للدفاع"، فالإيمان الحقيقي الراسخ يبني ولايهدم فلا يهاجم أحداً، بل يشرح ويوضح الحقائق.

وأشكر إسكندر جديد صاحب فكرة أول نواة لهذا الكتاب في كتيبيه: "الخطية والكفارة" و"الصليب في الإنجيل والقرآن"، بل وأشكر كل من قدم ملاحظاته، وأخص د.ق. منيس عبد النور الذي لم يراجع هذا الكتاب فحسب بل هو الذي علمني لاهوت الدفاع عن الإيمان، وأطلب من الله أن ينجح هذا الكتاب في هذه الصورة المبسطة في الإجابة الواضحة على أهم التساؤلات حول لزوم كفارة المسيح كالطريق الوحيد للمصالحة مع الله.

د. داود رياض

الفصل الأول الخطية في المسيحية والإسلام

في هذا الفصل نتناول المعاني المختلفة للخطية، كما يلي :

1- الخطية في لغات الكتب الدينية

الخطية في اللغة العربية:

قـاموس البستان: يوضح معنى الخطية ومرادفاتها على النحو الآتي:

خطئ : تعمد الذنب	أخطأ: أصاب الذنب على غير عمد
أخطأ الهدف: أنه لم يصب الهدف	والخاطئ : من تعمّد لما لا ينبغي
الآثم : المذنب	الشر : اسم جامع للرذائل والآثام

وفي سفر الخروج نقرأ أن الله:" غافر الإثم والمعصية والخطية" (خروج 34 : 7)، فالخطية كما وردت في العبري واليوناني لها المعاني التالية:

1 –الخطية: ومعناها عدم إصابة الهدف. فلكلٍّ منا هــدف خلقــه الله لأجلــه. وعندما لا نصيب هذا الهدف ولا نمجد الله نكون بذلك قد أخطأنا إليه.

2 – الإثم : ويُقصد به عدم البرّ وعدم الاستقامة. إنها ترينـــا عَــوَجَ البـــشر الذين لا يسيرون في الطريق المستقيم الذي هو طريق البِرّ.

3- الشر : ويُقصد به التعدّي وتخطّي الحدود التي رسمها الله لنا. فقد نـــشأنا وفينا دوافع وميول لها حدود مقدَّسة، ومتى تعدَّينا هذه الحدود نكون قد فعلنا الشر، فعندما يتحول النظر البريء إلى شهوة، وحُبّ الاستطلاع إلـــى تطفـــل، نكون بذلك قد تعدَّينا الحدود المقدسة التي رسمها الله.

4- المعصية: وهي الثورة على الله. العصاة هم المستهزئون الذين ســـخروا بالله واحتقروا كلامه. وفيما عدا " المعصية" فإن الآنواع الثلاثة الأخرى، يمكن أن تكون خطايا سهو أو خطـــايا عمد. وخطـــايا السهو هي التي رسمت لهـــا كل والذبائح.

أما خطايا العمد فلا تقبل التوراة لها كفّارة. قال داود النبي: "لأَنَّكَ لا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ، وَإِلا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لا تَرْضَى" (مزمور16:51). فخطايا العمــد لا يُكَفِّر عنها فقط بالذبائح بل القلب المنكسر والــروح المنـــسحق أمـــام الله، ولذلك صلى داود النبي: "امْحُ مَعَاصِيَّ، اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي" (مزمور 1:51و2).

يحدثنا سفر الخروج 7:34 عن الله أنه: "غافر الإثم والمعصية والخطية"، مما يرينا ثلاثة أنواع: إثم، ومعصية، وخطية. ويصوّر لنا المزمور الأول (1:1) "الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْـلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ ". ونرى هنا ثلاثة أنواع وهي: الأشرار، والخطاة، والمستهزئين. يُقصَد بالمستهزئين "العصاه" الساخرين بشريعة الله.

2- الخطية في علم النفس

كلمة "خطية " تعبير فقهي لاهوتي، وليست تعبيراً من علم النفس، لأن الخطية ترتبط بالسلوك الأخلاقي لـــلإنسان، بينما يهتم علم النفس بدراسة "الذنب " والإحساس به، الذي يلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان العقلية، سليمة كانت أو مريضة .

هل يُبرِّر علم النفس الخطية؟ يقول بعض البسطاء إن علم النفس يبرِّر الخطية. وليس هذا صحيحاً، فعلم النفس لا يحل محل الدين، وإنما هو وسيلة يستخدمها الدين لتوضيح أغراضه. يعاون علم النفس الدين في فهم الأسباب الدافعة للخطية، فبينما يكشف الدين النقاب عن "الخطأ"، ويوضح أن الخطية

هي: "الانفصال عن الله"، يكشف علم النفس النقاب عن الأسباب التي دفعت المُخطئ لهذا الخطأ".

3- الخطية في المسيحية

الخطية ظاهرة في تاريخ البشر، يقرّ* بها كل إنسان يفحص نفسه بأمانة، لأن جميع البشر، حتى الذين لم يتلقّوا نور إعلانات السماء يشعرون بخطاياهم، ويقرُّون بنقصهم وعجزهم عن القيام بما كلَّفهم الله به.

وليست الخطية هي الشر الفاضح فقط، بل هي أساساً الانفصال عن الله خالقنا والهدف الوحيد لنا. وهذا الانفصال لا يكون بارتكاب الشر فحسب، بل هو أيضاً عدم فعل الخير. وقد عُرف بالاختبار أن الإنسان " الطبيعي " لا يستطيع أن يميّز قوة الخطية وشدة فعلها في البشر كما يُميّزها الإنسان "الروحي"، الذي أدَّبته شريعة الله وقادته إلى معرفة الله، فأعطاه النعمة ليعرف حقيقة الخطية وأثرها في جرّ الإنسان إلى حال الفساد، وتبعاً لذلك صار يشعر بالحاجة إلى معونة النعمة الإلهية. وإلى دم الكفّارة لأجل تبريره.

والخطية بوجه عام هي التعدّي (1يوحنا 3:4) على شريعة الله، فهي جُرْمٌ بحق الله، مهما كان عذر مرتكبها، وأياً كان حجمها.

على العموم لقد وُجد بالدليل العملي أن الجميع أخطأوا، فلو فرضنا (جدلا) أنه لا توجد خطية أصلية، فقد وُجد عبر التاريخ أن النفس آمارة بالسوء، فكل بني آدم خطّاء، فكل البشر فسدوا معاً، " ليس من يعمل صلاحاً ولا واحد " (رومية3: 12).

كيف دخلت الخطية إلى العالم؟

إن "تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته" (تكوين 8: 21). وقال الرسول بولس: " بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَم، وَبِالْخَطِيَّةُ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ " (رومية 12:5). وهذا يعني أن الخطية بدأت في عالمنا بآدم أبو البشر. ويعتبر بولس أن آدم وحواء واحد يمثل البشرية كلها، فيقول: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ" معتمداً على قول موسى: "ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُ" (تكوين 2:5). ولم يذكر الرسول بولس تجربة الحيَّة، ولا معصية حواء، لأن غايته أن يبيّن أن آدم كان في ما فعله نائباً عن كل نسله. فكل إنسان خاطئ فاسد بطبيعته، وأيضاً خاطئ فاسد بأعماله.

كيف انتقلت الخطية؟

قال المسيح: "هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوكَ عِنَباً أو مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟" (متى 16:7). وهذا القانون ينطبق على الإنسان، فآدم أبو البشر فقدَ بعصيانه حياة الاستقامة، والنتيجة أنه طُرد من فردوس الطهر إلى أرض لعنها الله بسبب الخطية. وعلى الأرض أنجب آدم نسلاً كان بالطبيعة مطروداً، فاقداً ميراثه في الفردوس. ويقول النبي داود : "بِالإِثْمِ صُوِّرتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي " (مزمور 5:51). وقال الرسول بولس: " لَيْسَ بَارٌ وَلا وَاحِدٌ. لَيْسَ مِنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الله. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً لَيْسَ وَلا وَاحِدٌ " (رومية 3:10-12).

وشرح القديس أغسطينوس تعاليم الكتاب المقدس في السقوط، فقال :

1. خلق الله الإنسان على صورته [في المعرفة والبر والقداسة].

[ويتّفق صحيح مسلم مع هذه الفكرة (في صحيح مسلم الجزء 10صفحة 293)، في تفسير سورة الرحمن، ففي حديث قدسي يقول عن آدم: " كان مختاراً خالداً، وخوّله سلطاناً على الخلائق مع القدرة على اختيار الخير والشر، وإثبات طبيعته الأخلاقية"].

2. ترك الله آدم لحرية إرادته، ولما جرَّبه إبليس أخطأ إلى الله وسقط من حالة البراءة التي خُلق عليها.

3. نشأ عن معصيته ضياع الصورة الإلهية وفساد طبيعته كلها، حتى صار ميتاً روحياً، لا يميل إلى الخير الروحي، وعاجزاً عنه ومضاداً له. وصار أيضاً قابلاً للموت جسدياً، وعُرْضة لكل سيئات هذه الحياة والموت الأبدي.

4. الاتحاد النيابي بين آدم ونسله هو علة ما حلَّ بهم من نفس نتائج المعصية التي حلَّت عليه، فإنهم يولدون خالين من صورة الله، فاسدين أخلاقياً، وفي حال الدينونة [راجع رومية 5:12–19] .

5. لم يرث الإنسان طبيعة فاسدة فحسب، [بل أخطأ بأعماله وأفعاله].

6. ضياع البرّ الأصلي وفساد الطبيعة، اللذيْن نتجا عن سقوط آدم، وهما عقاب لخطيته [ويمكن أن نقول إنه نتيجة طبيعية وليس عقاباً].

7. التجديد، أو الدعوة الفعّالة، هو عمل الروح القدس العجيب الذي تكون فيه النفس مفعولاً لا فاعلاً. ويتعلّق كله بإرادة الله. فيلزم عن ذلك أن الخلاص هو من نعمة الله. [والنعمة هي عطية مجانية، من شخص قادر لآخر عاجز، وفي نفس الوقت غير مستحق].

ما هي أجرة الخطية؟

قال الله لآدم: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّر فَلا تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ" (تكوين 2:17). ونقرأ أيضاً في (حزقيال 18:20) "النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ "، ونقرأ في رسالة (رومية6: 23) " أَجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ". والانفصال عن الله هو الموت الروحي. وقد مات آدم وحواء روحياً، حين سقطا وانفصلا عن الله، وفقدا تلك الشركة الروحية المقدّسة مع الرب الإله. وتبعاً لذلك فقدا الشوق للمثول في حضرته، فاختبأ آدم وحواء من وجهه في وسط أشجار الجنة (تكوين 3:8). ولابد أنهما شعرا بالضعف الجسدي والمرض والانحلال، فتذكرا إنذار الرب: " يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ ". ومن المروّع أن يرتسم عقاب عصيان آدم أمام عينيه!

ولكن هل خسرت العائلة الأولى كل امتيازاتها؟ وهل ضاع الرجاء في عودة الإنسان إلى الفردوس الذي فقده بسبب الخطية؟ وهل انتُزعت منه طهارته إلى الأبد؟ كلا! لأن الله محب. إنه هو ذاته محبة، ومحبته غنية، وعنده غفران كثير، بل هو مصدر الغفران، وهو الذي لا يُسرّ بموت الخاطئ فأخذ المسيح دور المنقذ الفادي، الكلمة الذي كان في البدء عند الله.

وأول ما صنعته محبة الله هو ستر عري آدم وحواء بلباس خاص من تدبيره الصالح. إنه "لباس التقوى"، "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ، أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (تكوين 3:20). وبذلك كرَّس الرب الإله عهد الكفّارة، ثم أعطى لهما الله "كلماتٍ" هي الوعد بمجيء المسيح، نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية (تكوين 3:15). (للمزيد راجع مذكرات "قصص الأنبياء" للدكتور القس/ منيس عبد النور).

لكن لماذا أجرة الخطية موت ؟

قد لا تحتاج إلى تعقيم الماء قبل أن تشربه. وقد تتهاون مع قليل من الغبار في الماء لو كنت في شديد العطش. لكن مهما عظم عطشك فإنك لا تتهاون مع السم! وإذا كان عندك كأسان من الماء بأحدهما نقطة واحدة من سم قاتل، وبالآخر عشر نقاط من نفس السم، فإنك لا تفضل أحدهما على

الآخر، فبالكأسين سم قــاتل. هذا المثل يوضح لماذا يقول الله: " مَنْ عَثَرَ فِي وَاحِـدةٍ، فَـقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُـلِّ " (يعقوب 2:10).

فالخطية ليست مجرد غبار، بل هي أكثر ضرراً من السم نفسه! حتـى أن الرسول بولس عبَّر عنها وعن خطورتها وشرها بالقول: "الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدّاً" (رومية 7:13). فالخطية مهما صغُرت تفصل الإنسان عن الله، لأنها لا تتفـق مع قداسة الله، فهو لا يطيق الإثم، فمع محبته للخاطئ إلا أنه يكره الخطية.

تناسب قوة الدواء مع درجة الداء:

من البديهي أننا نحتاج لدواءٍ يناسب الداء، وكلما تفاقمـت حالــة الـداء احتجنا لدواءٍ أقوى وأنسب، وتكمن خطورة الخطية في أنها موجَّهة ضـد الله نفسه. يُخطئ الإنسان في حق من هو أقل منه. وهذا أسهل من أن يخطئ في حق شخص مساوٍ له. كما أن هذا أسهل جداً من ارتكاب الخطأ في حـق مـن هو أعلى منه. فـالأمر يزداد خطورة عندما يُخطئ العبد في حـق الـسيد أو الرئيس أو الملك. وهذا ما حدث، فالخطية هي خطـأ العبد ضد ملك الملـوك، والسيد الأعظم وهو الله. ومن هنا تظهر خطورة الخطية التي يرتكبهـا هـذا الإنسان العبد في حق سيد الكون.

ونضرب لذلك مثلاً للتوضيح : لو أن هناك ملكاً في موكبه وحاول أحـد العبيد ضربه، فإنه يعاقبه على مجرد المحاولة، فسواء نجح في محاولتـه أو لم ينجح ففي الحالتين يُعاقَب على مجرد المحاولة. فتكمن خطورة الخطيـة في أنها موجَّهة ضد الله، الذي لا نهاية لعظمته ومجده، فالعقوبة المـستحقة عنها هي عقوبة لا نهاية لها، فليس من الغريب أن يقول لآدم، إنه يوم يأكل من الشجرة التي نهاه عنها " مَوْتاً تَمُوتُ "، فهي نتيجة حتمية.

هل هناك دواء للخطية؟

لابد أن تتناسب قوة الدواء مع درجة الداء، وحتى لو كان هنـاك مـرض قاتل فقد يكون له علاج، ولو كان الأمر كذلك، فإن الطبيب يمكنـه أن يـصف حالة المريض وخطورة المرض، ولا يخفي أي جانب فلابد أن يقتنع المريض أنه إن لم يُعالج فالأمر خطير. وبعد أن يصّور هذه الصورة المظلمـة، فإنـه يستطيع أن يكشف عن العلاج.

ولكن المشكلة تبدأ إذا كان ليس هناك أي علاج لهذا المـرض الخطيـر، وهنا قد يستخدم الطبيب ألفاظاً مبهمة أو دبلوماسية، لأنه لا يستطيع أن يقدم علاجاً ناجحاً، وأنه لا أمل في الشفاء.

لذلك فإن كلمة الله تصف حالتنا بوضوح، لا لبس فيه، فهي تعِّرفنـا أننـا خطاة، وأننا أموات بالذنوب والخطايا، ونستحق الموت الأدبي والروحي وليس الجسدي فقط ، فكلمة الله تعلن لنا شرنا بوضوح، لأنها تقدر أن تحل مـشكلة خطايانا في كفارة المسيح، فلنا رئيس كهنة قد مات عنا ويستطيع أن يخلصنا.

كثيرون يخففون من شأن الخطية، وينسبون السبب للبيئة أو لأي ظروف أخرى خارجة عن إرادة الإنسان، فهو غير مسئول عنها، لكن كلمة الله تعلـن بصراحة ووضوح أننا خطاة عاجزون عن حل مشكلة الخطية، فنحن نحتـاج إلى رئيس كهنة يموت عنا (راجع عبرانيين5: 10، وأصحاح 7 كله).

معنى كفارة للخطية

كلمة " كفّارة " في أصلها العبري تعني <u>ستر أو غطاء</u>، فكان لابد من كفّارة تستر خطية الإنسان وعريه. وهي تحمل معنى الترضية وإزالة الأحقاد بعد <u>دفع تعويض</u>.

أما في اللغة العربية فالمعنى هو الآنقاذ وليس بدون مقابل، بل بتقديم التضحية اللازمة، وفي قاموس المحيط " <u>فداه</u>" أي دفع شيئاً فأنقذه، ومن ثَمَ قد يكون <u>اشتراه ثانية</u>. (راجع كتاب "كفارة المسيح" ص70و71).

ومن أهم معاني الكفّارة المصالحة ، فهي في الأصل (الآنجلوساكسوني) تعني المصالحة (at-one-ment = atonement) .

بالإضافة إلى معانٍ أخرى (في اللغات الأوروبية)، كاسترداد الشرف المُعتدى عليه، أو إطلاق سراح الأسير، أو استعادة الشيء المرهون، أو <u>إنقاذ شخص من أزمة أو موت</u> – وكل ذلك <u>بواسطة تضحية</u> أو مجهود ما.

والخطية خطيرة تستوجب الموت، وتحتاج إلى كفّارة أو ستر كافٍ. تُرى ما هي الكفّارة الكافية التي ترضي الله، وتبرر الإنسان أمامه ؟؟

4- الخطية في الإسلام

وردت في نصوص القرآن طائفة من الكلمات تعبّر عن الخطية، أشهرها:

1- <u>الذنب</u>: وقد خصص القرآن لها 39 آية، أكثرها تداولا "إنَّا فَتَحْنَا لكَ فتحاً مُبيناً، لِيَغْفِرَ لكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" (الفتح 48:1و2، و47 : 19).

2- <u>الوزر</u>: إذ يقول: " أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ " (الشرح 94:1 -3). قال فخر الدين الرازي في شرح هذه الآية: إن الملاك جبريل أتى النبي، وشق صدره، وأخرج قلبه، وغسله ونقاه من المعاصي، ثم ملأه علماً وإيماناً. وأخرج ابن هشام، عن محمد بن إسحاق قال: إن نفراً من أصحاب النبي، سألوه: يا رسول الله اخبرنا عن نفسك، فقال: استرضعت في بني سعد، فبينما أنا مع أخ لي، خلف بيوتنا نرعى، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض، بطست من ذهب، مملوءاً ثلجاً. ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي، فشقاه، فاستخرجا منه علقه سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج. ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمتهِ، لوزنها.

3- <u>الضلال</u>: كقوله: "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ؟ " (الضحى 93:5-8). وقد فسَّر الكلبي الضلال بالكفر. وعلى العموم الضلال من الكبائر.

4- <u>الإثم</u>: كقوله: "وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ . إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ " (الآنعام 6:120).

5- <u>الخطيئة</u>: كقوله: "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ، فَقدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبيناً " (النساء 4:112). في هذه الآية ثلاثة أسماء للخطية: الخطية والإثم والبهتان، وقد ميّز بينها الإمام الرازي بالتفسير التالي:

ا- الخطية هي الصغيرة، والإثم هو الكبيرة.

ب- الخطية هي الذنب القاصر على فاعلها، والإثم هو الذنب المتعدي إلى الغير، كالظلم والقتل. ج- الخطية ما لا ينبغي فعله، سواء كان بالعمد أو بالخطأ، والإثم ما يحصل بسبب العمد.

6- <u>الفحشاء</u>: وتُستعمل بالأكثر للتعبير عن خطية الزنا، وقد نهى القرآن عنها بقوله: "وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " (الآنعام 6:151).

7- <u>الكفر</u>: **كقول القـــرآن للمـــؤمنين:** "وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ، وَالفُسُوقَ، وَالعِصْيَانَ..." (الحجرات49: 7). **قال الزمخشري في تفسير هذه العبارة: إنها أمـــور ثلاثـــة: الكُفرَ وهو نُكرَان الله، والفُسُوقَ وهو الكَذِبَ ، والعِصيَانَ وهو التمرد.**

8- <u>الظلم</u>: **كقوله:** "وَإِذ نَادَى رَبكَ مُوسَى، أن ائتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ" **(الشعراء26: 10).**

9- <u>الفجور</u>: **كقوله:** "وَ إنَّ الفُجَّارَ لفِي جَحِيم، يَصلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين، وَمَا هُمْ عَنْهَا بغَائِبِينَ" **(الآنفطار82: 14-16).**

10- <u>الشر</u>: **كقوله:** "وَمَن يَعمَل مِثقَال ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَهُ" **(الزلزلـــة99: 8)، اخـــرج <u>أبـــو الجعفر الطبري</u>، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أُنزلت هذه السورة، وأبو بكر الصديق قاعـــد، فبكى حين أنزلت، فقال النبي: ما يبكيك يا أبا بكر ؟ قال: تبكينـــي هـــذه السورة، فقال له النبي: لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر الله لهم.**

11- <u>السيِّئة</u>: **كقوله:** "وَمَن جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فكبَّتْ وُجُوهُهُم فِي النَّار..." **(النمـــل90:27). قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، شقَّت على المـــؤمنين مـــشقَّة شـــديدة، فقالوا للنبي: وأي منا لم يعمل سوءاً، فـــكيف الجزاء؟ فقال: إن الله وعد على الطاعة عشر حسنات، وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة، فمـــن جُوزِي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة، وتبقى له تسع حسنات.**

12-<u>حرام</u>: **كقوله :** " وَحُرِمَ عَلَيْكُمْ صَيَدُ البَرِ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا الله" **(5: 96).**

13- <u>السوء</u>: **كقولـــه:** "مَنْ يَعْمَلْ سُوءً ا يُجْزَ بـهِ، وَلا يَجِدْ لـه مِنْ دُون وَلِياً وَلا نَصيراً" **(النساء 123).**

14- <u>الفساد</u>: **كقوله:** " لِيُفْسِدَ فِيهَا، وَيُهْلِكَ الحرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّـهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ" **(البقـــرة2: 205).**

15-<u>الفسق</u>: **كقوله:** "وَلَقدْ أنْزَلنَا إلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَمَا يَكْفُرُ بهَا إلا الفَاسِقُونَ " (البقـــرة2: 99)، **قال المفسرون: الفسق خروج الإنسان عما حد لـــه الله، وإن كل فاسق كافر.**

16- <u>البهتان</u>: **كقوله:** " مَا يَكُونُ لَنَا أنْ نَتَكَلَّمَ بهَذَا، سُبْحانَكَ، هَذَا بُهْتَانُ عَظِيمُ" (النور24: 16). **وبعد أن يفرق الرازي بين الخطية والذنب يضيف قائلاً: أما البهتان فهو أن ترمي أخاك بأمر منكر، وهو بريء منه. واعلم أن صاحب البهتان، مذموم في الدنيا أشد الذم، ومعاقب في الآخرة أشد العقاب.**

17- <u>جُنَـــاحَ</u>: **كقولـــه:** " لَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحَ أن تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ مَسكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ" **(النور24: 29و58و60).**

18-<u>اعتداء</u>: **كقوله:** "وَلا تَعتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ " **(البقرة 2: 190)**

وهناك أيضاً العصيان والغواية، فالمترادفات التي تتناول التعبير عـــن أنـــواع الخطية تصل إلى 20 كلمة.

ما هو موقف الإسلام من الخطية الأصلية؟

يقول القرآن بوجود الخطية الأصلية، ويقُّر بأنها كانت سبباً لسقوط آدم وحواء وذريتهما، وذلك في بعض آياته ، نكتفي بـــذكر أوضـــحها: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّة وَكُلا مِنْهَا رَغداً حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأزَلَّهُمّا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأخْرَجَهُمَا مِّمِا كَانَا فِيهِ. وَقُلْنَا <u>اهْبِطُوا</u> بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عْدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين. فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 35:2-37). **وصيغة الجمع " <u>اهْبِطُوا</u> " مع أن الكلام موجَّه إلى اثنين فقط، هما آدم وحواء. فآثار خطية أبويْنا الأوّلَين حلّت بذريته. (البخاري) فقد "عصى آدم فعصَت ذريته".**

ويقول أمير ريشاوي اختلف علماء المسلمين في المكان الذي كان فيه آدم وحواء قبل السقوط، ففي الوقت الذي يؤكد فيه الإمام "الجبائى" أن هذه الجنة كانت في السماء السابعة، والدليل على ذلك قوله "اهْبِطُوا"، نجد عالمـــاً آخـــر مثل أبو القاسم البلمني ، وأبو مسلم الأصفهاني يقولا: إن الجنة كانـــت فـــي

الأرض ، وفُسِّر الإهباط بالانتقال من بقعة إلى أخرى (راجــع أيــضاً كتــاب " قصص الأنبياء " لعبد الوهاب النجار).

ويتفق القرآن مع سفر التكوين، في أن آدم وحواء أقدما على الأكل مــن الشجرة بغواية الشيطان، فيقول: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ". ولما كــان آدم فــي نظــر القرآن نبياً، والأنبياء (حسب الفكر الإسلامي) معصومون عن الخطأ، فقد قام إشكال في حادث سقوط آدم. وحاول مفسرو المسلمين الخروج من الإشــكال، فقالوا: إن آدم عندما صدرت عنه تلك الزلَّة لم يكن نبياً، ثم بعد ذلك صار نبياً. غير أن هذا الرأي لم يلقَ إجماعاً، وقال آخرون إن آدم كان نبياً منذ البــدء. وإنما وقع في زلته وهو ناسٍ. ومثَّلوه بالصائم الذي ينشغل بأمر ما يستغرقه ويغلب عليه، فيسهو عن الصوم ويأكل أثناء ذلك السهو، لا عن قصد. (وجاء في إحدى الروايات أن حواء سقته خمراً حتى سكر ففعل ذلك أثنــاء الــسكر. راجع كتاب "الخطية والكفارة في الإسلام والمسيحية").

ولكن كيف يمكن أن يُقبل مثل هذا التفسير، والقرآن يقــول فــي الآيــة التالية: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (البقرة 37:2). فكلمة "تَابَ" هنا تدل على أنه وقع في الخطيــة فعــلاً وباختيــاره، وحــاول إلقــاء المسئولية على حواء.

وقد جــاء في آراء لــفيف من العلماء، ما يؤكد أن آدم تعمد الأكل مــن الشجرة. فقد اخرج أبو جعفر الطبري، (عن يونس بن عبد الأعلى،عن وهــب عن ابن زيد)، في تفسير "فتلقى آدم من ربه كلمات ...." قال [كــأن لــسان حالهما] هذه الآية: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَـاسِرِينَ " (الأعراف 7 :23).

وحدَّث موسى بن هـــرون، قـــال: حدَّثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي، في تفسير: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ " قال: ربِ ألم تخلقني بيــدك؟ قيل له: بلى، قال: ونفخت فيَّ من روحك؟ قيل له: بلى، قال: ربي هل وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى قال: ربي هل كنت كتبت هذا علي؟ قيل له نعــم. قال: ربي وان تبتُ وأصلحت، هل أنت راجعني إلى الجنة. قيل له نعم. قال الله تعالى: " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ".

وفي رواية أخري عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان، يقول: قال آدم يا رب خطيئتي التي أخطأتها، أشيء كتبتَه على قبل أن تخلقني؟ أو شيء ابتدعتُه من قِبَل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبتُه عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبتَه على فــاغفره لي، قال: فهــو قــــول الله، فتلقى آدم من ربه كلمات.

ثم أن كلمات آدم وحواء إلى ربهما، تؤكد ما ذهبنا إليه "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَـاسِرِينَ " (الأعراف 23:7). وهذا ما قاله الإمام الفخر الرازي: " قصة [خطأ] آدم عليه السلام تمسكوا بها من سبعة أوجه:

1- إنه كان عاصياً ، والعاصي لابد وأن يكون صاحب الكبيرة لوجهين :

أ- إن النص يقتضي كونه معاقَباً لقوله: "ومن يعصى الله ورسوله ، فإن له نار جهنم ".

ب- إن العاصي اسم ذم، فيجب أن لا يتناول إلا صاحب الكبيرة .

2- في التمسك بقصة آدم إنه كان غاوياً، كقول القرآن "فغوى " والغِيّ ضــد الرُّشد .

3- والتائب مذنب. التائب هو النادم على فعل الذنب. والنادم على فعل الــذنب مخبر عن كونه فاعلاً للذنب. فإن كذب فهو مذنب في الكذب. وإن صــدق فيه فهو المطلوب.

4 – إنه ارتكب المنهى عنه في قوله: " ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟" (الأعراف 22:7). "ولا تقربا هذه الشجرة " (البقرة 35:2). وارتكاب المنهى عنه عين الذنب.

5- سُمَّي ظالماً في قوله: "فتكونا من الظالمين " (البقرة 35:2). وهو سمَّى نفسه ظالماً في قوله: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا " (الأعراف 23:7). والظالم ملعون، لقوله: " ألا لعنة الله على الظالمين" (هود 18:11). ومن استحق اللعن كان صاحب الكبيرة.

6- اعترف بأنه لولا مغفرة الله له لكان من الخاسرين، في قوله: " وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ". وذلك يقتضي كونه صاحب الكبيرة.

7- إنه أُخرج من الجنة، بسبب وسوسة الشيطان، وإذلاله، جزاء على ما أقدم عليه من طاعة الشيطان. وذلك يدل على كونه صاحب الكبيرة ".

وهناك نص قرآني يحسم الموضوع، في أن آدم مذنب، هو قوله: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ. قَالَ يَا آدَمُ، هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ؟ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءاتُهُمَا. وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " (طه 120:20و121). فكلمة "غوى" من الغواية. وقال الرازي في تفسيرها: "الغواية والضلالة اسمان مترادفان، والغيّ ضد الرشد. ومثل هذا الإثم لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه".

ولقد تعجب الإمام الباهلي من خطية آدم فقال: "إن واقعة آدم عجيبة، لأن الله تعالى رغَّبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة، بقوله: "يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ، فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى " (طه 117:20–119). ورغَّبه إبليس في دوام الراحة، بقوله: " هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ ؟" وفي انتظام المعيشة، بقوله: " وَمُلْكٍ لا يَبْلَى " (طه 119:20). فكان الشيء الذي رغَّب الله به آدم هو الشيء الذي رغَّبه فيه إبليس، إلا أن الله وقَّف ذلك على الاحتراس من تلك الشجرة، وإبليس وقَّفه على الإقدام عليها، ثم أن آدم مع كمال عقله وعلمه بأن الله مولاه ومربيّة وناصره، أعلمه أن إبليس عدوه، فكيف قَبِلَ قول إبليس مع علمه بعداوته له، وأعرض عن قول الله؟"

لقد عجز المفسرون عن طمس ذنب آدم، لأن القرآن قال: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " (طه 121:20). وأجمعوا على أن العصيان ذنب، وأن العاصي اسم للذم، فلا يُطلق إلا على صاحب الكبيرة، ولا معنى لصاحب الكبيرة، إلا من فعل فعلاً يُعاقَب عليه.

أخطأ الإنسان منذ البداية، فقال عن آدم وحواء: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ "(البقرة 36:2). [طرد اللهُ آدم من الجنة فانفصل روحياً عن الله].

تقول الشريعة: "أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ "(رومية 23:6). والموت المقصود هنا هو الانفصال الروحي عن الله (كما سبق وذكرنا).

وتابعت ذريته السير على منواله، "فعَصَى آدَمُ فعَصت ذريته "، فكل بني آدم خطّاء. وهذا ما يقوله القرآن أيضاً: و"إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى" (العلق 6:96). و"إِنَّ الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ " (إبراهيم 34:14). و"إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" (أي كفورٌجاحدٌ بالنعمة) (العاديات 6:100). و"إن النفس لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ ". (يوسف 53:12). "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ " (النحل 61:16). فالكل وراد النار (مريم 19: 71). إذاً كيف ينجو الإنسان من الجحيم وهو بهذه الطبيعة الساقطة؟! ولا ينسب القرآن الخطية إلى آدم فحسب، بل ينسبها للجميع:

فإبراهيم أب المؤمنين والأنبياء، كفر ثم اهتدى (الآنعام 76:6 وإبراهيم 41:14). وكذب ثلاث مرات كما يقول الحديث: "لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام إلا ثلاث كذبات، اثنتين في ذات الله: قوله "إني سقيم " (الصافات 89:37). وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا " (الأنبياء63:21). وقوله لسارة: "هي أختي".

وموسى صاحب الشريعة، الذي كلّم الله تكليماً (النساء 164:4). وكز المصريّ (أي ضربه أو لكمه)، فقضى عليه (أي على المصري)، فقال: "هَذَا

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ! قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ " (القصص 16:28).

وداود صاحب الزَّبور: "وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ " (ص24:38و25). **ويُنسب الخطأ إلى الجميع فقيل:** " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ "(الشرح 94:1-3). **ولابد أنه كان وزراً ثقيلاً الذي أنقض ظهره (راجع تفسير ابن كثير للآية، فهو ليس ثقل الرسالة!) ويقول أيضاً:** "وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى " (الضحى 7:93). **والضلال من أعظم المعاصي والكبائر، ويقول له:** "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " (الفتح 2:48). **فسبق له ذنوب تتبعها ذنوب. وقد شعر أيضاً بحاجة دائمة إلى الاستغفار** "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ" (غافر40: 55). **ويتكرر استغفاره في** (النساء4: 106ومحمد47: 19). **وينسب الشك إليه فيُقال له:** "فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيكَ فَاسأَلِ الَّذِينَ يَقرَأُونَ الكِتَابَ مِن قَبلِكَ، لَقَد جَاءكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ " (يونس94:10)، **وعن تملُّق القوم بالشفاعة للأصنام في** (الإسراء 73:17)، **يُقال له:** " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ". **وأَذِنَ للمنافقين بالقعود عن الجهاد:** " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ " (التوبة 43:9). **وفي الحديث ورد القول: "توبوا إلى ربكم فو الله إني لأتوب إلى الله عز وجل سبعين مرة في اليوم". وعلى قول بعضهم مائة مرة"(البخاري- ومشكاة المصابيح حديث رقم 2323). لكن هناك واحداً فقط لا يذكر له القرآن إثماً، ولا علاقة بالخطية على الإطلاق، هو المسيح عيسى ابن مريم، ولا نجد له حاجة للاستغفار أو التوبة، بل ميَّزه القرآن بصفات، يسطع نورها بالمقارنة بما ارتكبه الجميع. (للمزيد راجع "من هو المسيح؟").**

وهكذا نرى أن "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مِنْ يَعْمَلُ صَلاحاً، لَيْسَ وَلا وَاحِدٌ" (رو3: 12). فوقع الجميع تحت حكم الموت، لأن الله عادل والشريعة تقضي بموت الجميع. فإذا كان المشرَّع لا يعمل بما سنَّهُ، فقُلْ على العدالة السلام. لكن حاشا لله فلابد لشريعته أن تأخذ مجراها، فالله قدوس ولا يطيق الإثم. ومنذ البداية كانت الذبائح الدموية وسيلة التكفير عن الخطية، وهو ما نصت عليها شريعة موسى، ويتضح ذلك في قول الإنجيل "بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ " (عبرانيين 22:9). وهناك مثل واضح على الفداء الإلهي في القول: "<u>وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ</u>" **(الصافات 107:37). لقد فدى الله ابن إبراهيم بذبح عظيم، فلماذا يدبر الله هذا الذبح العظيم؟ هذه كلها تشير إلى ذبيحة عظمى، ولكن الذبيحة بنفسها لا يمكن أن تفدي الإنسان، لأنها لا تساوي قيمته. فالذبيح الأعظم الذي قدم نفسه فدية وكفارة هو المسيح. فتوجد في الإسلام ذبائح دموية للحصول، على مغفرة الخطايا*، والقبول لدى الله. فالمسلمون يعلمون أن ذبائحهم في عيد الأضحى (في ذكرى الذبح العظيم الذي دبره الله مكان ابن إبراهيم) فهي ليست ذبائح لمجرد الأكل، فما هو سببها؟ أليست هي للتكفير عن الخطايا، ومحاولة الحصول على الغفران؟**

الفصل الثاني: الكفارة في الإسلام والمسيحية

1- الكفارة في الإسلام

يتّفق الفكر الإسلامي مع الفكر المسيحي في وقوع آدم وزوجته في الخطية، ويتفقان في معنى كلمة "كفّارة"، وهو ستر الإثم وتغطيته، فلا يعود يُحسَب ضد مرتكبيه. قال الراغب الأصفهاني في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن": "الكفّارة ما يغطى الإثم. والتكفير ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يُعمل. ويُقال كفرت الشمس النجوم، سترتها". ولكن الفكريْن <u>الإسلامي والمسيحي لايقدمان نفس طريقة التكفير عن الخطية</u>.

ففي الفكر الإسلامي نجد طرقاً عديدة يكفّر الله بها عن الخطايا، وأعمالاً

صالحة يغفر بها الذنوب، منها:

1- الإيمان: فيقول القرآن: "رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ. فَآمَنَّا. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرَارِ" **(آل عمران193:3). ونجد الفكرة نفسها في المائدة 12:5و65، والزُّمرَ 35:39، ومحمد2:47، والفتح5:48، والتغابُن9:64.**

2- الصَّدقة: فيقول القرآن في البقرة 271:2 "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ، وَ إِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرُ لَكُمْ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرً ". **ونجد الفكرة نفسها في المائدة 12:5.**

3 – الاستشهاد: فيقول القرآن: " فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ، لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الآنهَارُ، ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ " **(آل عمران195:3).**

4- اجتناب الكبائر: كالغيبة والقتل. يقول القرآن: "إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نكفّر عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ونُدخلكم مُدخلاً كريماً " **(النساء 4: 31).**

5- الصلاة: يقول القرآن: " لئن أقمتُم الصلاة وآتيتُم الزكاة وآمنتم برسلي وعزَّرتموهم، وأقرضتم الله قرضاً حسناً. لأكِفِّرنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ولأدخلنَّكم جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الآنهَارُ " **(المائدة 5: 12).**

6- التقوى: يقول القرآن: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيم" **(الآنفال 29:8). (والفكرة تتكرر في المائدة65:5، والزُّمر35:39، والطلاق5:65). ونلاحظ هنا أن جزاء التقوى ثلاثة أشياء :**

أ- يجعل لكم فرقاناً. وكلمة فرقان فسَّرها الفقهاء: أن الله يخص الأتقياء بالهداية والمعرفة. وأنه يخص قلوبهم وصدورهم بالآنشراح. وأنه يزيل الغــل والحقد من قلوبهم.

ب- يكّفر عنكم سيئاتكم التي اقترفتموها. ج- ويغفر لكم.

7- عمل الصالحات: يقول القرآن: "وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الآنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً. ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" **(التغابن 9:64). ووردت الفكرة نفسها في محمد2:47 .**

8- التوبة النصوح: يقول القرآن: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويُدخلكم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الآنهَارُ " **(التحريم 8:66).**

9- تلاوة الشهادتين: قال أبو هريرة: سأل أبو ذر الغفاري محمداً: يا رسول الله كيف يخلص المسلم؟ قال محمد: "إنه يخلص بالقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله". فسأله أبو ذر: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زني، فقال أبو ذر: وإن سرق وإن زنى؟ ...، فقال أبو ذر: وإن سرق وإن زنى؟ قال ثالثةً: وإن سرق وإن زنى، رغم أنف أبي ذر.

10 – وغير هذه يوجد الجهاد وقراءة القرآن (الحرف بعشر حسنات)، **والتوبة، والحج. وغيرها من الأعمال التي تستوجب غفران الله وعفوه.**

2- الغفران في الإسلام

حين نتأمل في نصوص القرآن بعمق نجد أن هناك فرقاً بين الكفّارة والغفران، وقد قال المفسرون إن التكفير عن السيئات يعني سترها في الدنيا، وإن المغفرة تعني إزالتها في يوم القيامة.

1-الأعمال والغفران: تخبرنا تعاليم الإسلام، أن غفران الخطايا يرتكز على الأعمال الصالحة، بدليل قول القرآن: "وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَاتِهِمْ " **(سورة الرعد 13: 21-22).**

رُوِيَ عن محمد، أنه قال لمعاذ بن جبل، إذا عملت سيئة، فاعمل بجنبها حسنة تمحها. وعن الحسن، في وصف هؤلاء، أنه قال: إذا حرموا أعطوا،

وإذا ظلموا عفوا. وقال الزجّاج: بيَّن الله تعالى أن الآنساب لا تنفع، إذا لم يحصل معها أعمال صالحة. وقال الواحدي و البخاري عن ابن عباس : إن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره، بحضور أهله معه في الجنة، وذلك يدل على أنهم يدخلونها إكراماً للمطيع الآتي بالأعمال الصالحة. ولو دخلوها بأعمالهم الصالحة، لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ... إذ كل منْ كان مصلحاً في عمله يدخل الجنة.

2- الصوم والغفران: جاء في الاحزاب33: 34: " إنَّ الصَّائِمِينَ وَالصَّـائِمَـاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً"، **وقد جاء في القرآن أن الصوم لمدة شهرين يحصل على غفران خطية القتل . ففي النساء4: 92:** " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلا خَطأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ ، إلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَـامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَـابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ".

ذكروا في سبب نزول هذه الآية، قوْل عروة بن الزبير: إن حذيفة ابن اليمان، كان مع رسول الله يوم أُحُد، فأخطأ المسلمون. وظنوا أن أباه "اليمان" واحد من الكفار، فأخذوه وضربوه بأسيافهم، وحذيفة يقول: إنه أبي، فلم يفهموا قوله إلا بعد أن قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فلما سمع الرسول ذلك ازداد حذيفة عنده، فنزلت الآية.

وجاء أيضاً أن الصوم ثلاثة أيام يحصل الغفران عن خطية الحلف الكاذب:
" لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمانَ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّام ذَلِكَ كفّارة أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ " (المائدة5: 89).

ذكر الرازي سبب النزول هو أن قوماً من الصحابة حرّموا على أنفسهم المطاعم والملابس، واختاروا الرهبانية. وحلفوا على ذلك، فلما نهاهم الله عنها، قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بإيماننا؟

3- الحج و الغفران: جاء في سورة البقرة2: 158: " إنْ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَـائِرِ اللَّهِ، فمَنْ حَجَّ البَيْتَ أو اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أنْ يطَّوَّفَ بهمَـا، وَمَنْ تَطوَّعَ خَيْراً فَإنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ". **قال ابن عباس: كان على الصفا صنم وعلى المروة صنم وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويتمسحون بهما. فلما جاء الإسلام، كره المسلمون الطواف بهما بسبب الصنمين فأنزلت الآية. وكلمة لا جناح تعني لا إثم، وإن من تطّوع للحج فالله يثَّبته بالغفران.**

4-الزكاة والغفران كقوله: "إنَّ الَّذِينَ ... أقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ". **جاء في تفسير الرازي عن ابن عباس قوله: لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من أحوال القيامة ولا يحزنون على ما تركوه في الدنيا. وقال الأصم: لا خوف عليهم من عذاب يومئذ، لا يحزنون بسبب أنه فاتهم النعيم الزائد.**

5- الجهاد في سبيل الله والغفران:"والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم" **(البقرة 2 : 218).**

6- مشيئة الله والغفران: "ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر من يشاء ويعذب من يشاء" (آل عمران **3 : 129**).

7- تلاوة القرآن والغفران: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له لعلكم ترحمون" (الأعراف **7 : 204**).

3 - الخطايا التي لا تغفر في الإسلام

(1)الشرك بالله بدليل قول القرآن:"إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك" **(آل عمران 3 : 116)،**

(2) **قتل نفس مؤمنة، كقول القرآن:** "ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها. وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً" **(النساء 4 : 92).**

(3)<u>الارتداد</u> كقوله: " إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون" **(سورة آل عمران 3 : 90).**

يقولون إن المشرك محروم قطعاً من رحمة الله، لأن الشرك ضلال بعيد. قال بعضهم إن الآية نزلت في حق أناس كانوا يعبدون الملائكة، وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله. ويقول الرازي: إن الذين لايؤمنن بالآخرة ليسموا الملائكة تسمية الأنثى.

4 – عجز الأعمال عن تحقيق الكفارة والغفران

هل يمكن للأعمال الصالحة أن تحقق الكفارة؟ هل الصوم والصلاة أو غيرها يمكن أن تحقق الكفارة؟

3–كانت العقوبة الإلهية لآدم على خطئه عادلة، كما كانت كفّارة المسيح دليل محبته. ولا يعتقد أحد بأن موت آدم جزاء لأكله من الشجرة تطرُفــاً في شدة العقاب، فقد سبق أن أنذر الله آدمَ بهذه العقوبة. كما أن القصاص الإلهي عادل، يتناسب تناسباً طردياً مع مكانة الشخص المُساء إليه. فإذا وقعت إهانة على شخص قليل الشأن كان قصاصها لا يُذكر، وكان تعويضها (إن كان لابد من تعويض) ضئيلاً. أما إذا وقعت الإهانة على شخص عظيم القدر كملكٍ أو حاكم، كانت جريمة شنيعة تستحق عقاباً جسيماً لا مجال فيه للتعويض. وبما أن الخطية إهانة موجَّهة (أو محاولة الإهانة) لله الذي لا نهاية لمجده ولا حد لسموّه، فالعقوبة المستحقَّة عنها هي عقوبة لا نهاية لها. فلا عجب أن قال الله لآدم إنه يوم يأكل من الشجرة التي نهاه عنها "موتاً يموت".

4 – لم يخلق الله آدم عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض بلا هدف ولا تقدير، وهو محبة في ذاته، محبُ لخلقه ومخلوقاته.

5– وبناءً على ذلك كانت هناك معادلة مطروحة: إما أن يموت آدم كما قالت شريعة الله، فلا تكون هناك حياة ولا آدميون، وإما أن يحيا آدم على حساب التضحية بعدالة الله.

6– يعجز البشر عن حل مشكلتهم عن طريق الأعمال الصالحة، أو إرضاء عدالة الله بأي طريق.

7– أوجد الله الحل وقدّمه برهاناً على عظمته ومحبته وعدله ورحمته، "لأنه هكَذَا أَحَبَّ اللهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنْ بِلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأبدية " (يوحنا 16:3). و هذه الحقائق السبع تسير في تسلسلٍ منطقي، كل حلقة فيها نتيجة لما سبقها، ومقدمة بديهية لما تقدمها.

8– حتمية الكفّارة: الاحتياج إلى تضحية كافية

لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله إلا إذا وفَّينا أولاً مطالب عدالته وقداسته بواسطةِ ما. لكن الذين لا يدركون هذه الحقيقة، أو يدركونها ثم يتغاضون عنها لجهلهم بكيفية إتمامها، يريحون ضمائرهم بأن يتركوا الأمر إلى رحمة الله. ونحن نعتزّ برحمة الله، ونؤمن أن رحمته وحدها هي القادرة أن تأتينا بالصفح والغفران. لكن لكي لا يكون الاعتماد عليها مؤسساً على مجرد الأمل أو التمنّي ، بل على الحق والواقع نقول:

لنفرض أن قضيةً رُفعت إلى قاضٍ مشهورٍ بالرحمة والرأفة، كما أنه مشهور بتقديس العدل وعدم التفريط فيه، فهل يجوز للمذنب أن يُطَّمئن نفسه بأن هذا القاضي سوف يبريء ساحته لأن قلب القاضي الرحيم الرؤوف لا يرضى بتوقيع العقوبة القانونية عليه؟ الجواب: لا!

وعلى هذا النسق نقول: إن الله رحيم رؤوف كما أنه عادل وقدوس. فلا يجوز أن نُطَّمئن نفوسنا برحمته قبل أن نعرف الوسيلة التي تؤهّلنا للتمتع

بتلك الرحمة دون الإجحاف بمطالب عدالته وقداسته. فما هي هذه الوسيلة؟

الجواب: لا نستطيع بالصلاة والصوم والأعمال الصالحة أن نوفي مطالب عدالة الله وقداسته، وهما لا تقلان في شيء عن رحمته ومحبته، وهذا ما قاله المسيح لليهود (لوقا17 : 9و10)، فالعبد يظل عبداً مهما فعل، لكنه محتاج لتدخل خارجي من الله لينال برّ المسيح المجاني، فيقبل عمل الله في المسيح، ويتصالح مع الله (2كو5 : 17–19). فلكي نتمتع بالغفران والقبول أمام الله، كان لا بد من الفداء أو التعويض، بواسطة كائن يقبل أن يموت عوضاً عنا، ويرضى على نفسه القصاص الذي نستحقه بسبب خطايانا، ويقدر أن يهبنا أيضاً طبيعة روحية تؤهلنا للتوافق معه (سبحانه) في صفاته الأخلاقية السامية، تنفيذاً لمطالب قداسته.

وتوضيحاً لما سبق: فإن لهذا الفادي بعضاً من الشروط التي يفترضها العقل والمنطق لفداء البشرية، منها:

1– بما أن الفدية يجب أن تكون على الأقل مساوية في قيمتها للشيء المطلوب فداؤه. وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله، لأنه ليس له نظير بين الكائنات يعادله ويساويه، لذلك فالفِدية، أو بالأحرى الفادي الذي يصلح للتكفير عن نفوسنا، يجب أن لا يكون حيواناً، بل أن يكون إنساناً.

2– وبما أن هذا الفادي سيكون فادياً ليس لإنسانٍ واحدٍ بل لكل الناس، يجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس.

3 –وبما أنه لو كان الفادي من جنسٍ يختلف عن جنسنا لَمَا استطاع أن يكون نائباً عنا، لأن النائب يكون من جنس الذين ينوب عنهم، لذلك فإنه مع عظمته، التي ذكرناها، يجب أن يكون واحداً من جنسنا.

4– وبما أنه لو كان الفادي خاطئاً مثلنا لكان محروماً من الله، وواقعاً تحت قضاء القصاص الأبدي نظيرنا. ولا يستطيع تبعاً لذلك أن ينقذ واحداً منا من هذا المصير المرعب، لأنه يكون هو نفسه محتاجاً إلى من ينقذه. لذلك فالفادي يجب أن يكون واحداً من جنسنا، وخالياً من الخطية خلوّاً تاماً.

5 – وبما أن خلوّه من الخطية، وإن كان أمراً سامياً، فإنه لا يدل على كماله، ولا على أهليته ليكون فادياً. فآدم مثلاً خُلِقَ خالياً من الخطية، غير أنه لم يكن معصوماً منها، لأنه عندما عاش على الأرض سقط فيها، لذلك لا يكفي أن يكون الفادي خالياً من الخطية، بل يجب أن يكون أيضاً معصوماً منها.

6– لو كان هذا الفادي مخلوقــاً لكان بجملته ملكاً لله. والشخص الذي لا يملك نفسه لا يحق له أن يقدم نفسه فدية لله عن إنسان ما. إذاً فالفادي يجب أن يكون أيضاً شخصاً غير مخلوق، لكي يكون من حقه أن يقدم نفسه كفّارة.

7– لا يمكن الحصول على الغفران والتمتع بالوجود في حضرة الله إلا إذا تمَّ أولا إيفاء مطالب عدالته وقداسته التي لا حدّ لها. إذاً فالفادي يجب أن يكون أيضاً ذا مكانة لا حدَّ لسموِّها حتى يستطيع إيفاء مطالب العدالة بتحمُّل كل قصاص الخطية عوضاً عنا. وإيفاء مطالب القداسة بإمدادنا بحياة روحية ترقى بنا إلى درجة التوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية.

تُرى منْ يكون هذا الفادي العظيم القدر، الخالي من الخطية والمعصوم منها، غير المخلوق في ذاته، وغير المحدود في مكانته، حتى يستطيع متطوّعاً أن يوفي مطالب عدالة الله التي لا حدّ لها عوضاً عنا، ويبعث فينا أيضاً حياة روحية ترقى بنا لدرجة التوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية؟ ليس هناك مَن يتَّصف بهذه الصفات أو يستطيع القيام بهذه الأعمال سوى الله!

9– ما هي أهمية التجسد؟

لما عجز البشر، قدَّم الله العلاج طوعاً ومحبةً. في أمور كثيرة يعجز الصغير أو الضعيف عن الالتقاء بالكبير أو القوي، إلا عندما يتنازل العظيم ويأخذ بيد الضعيف، كما في التقاء الملك بالشحاذ. فالملك هو الذي يقدر أن يتنازل فيلتقي بالعبد الفقير. وهنا نلاحظ :

1- قد لا تدرك الرعية شخصيَّة الملك أثناء تنازله، ولكن هذا لا يقلل من شأنه. لأن المشكلة كامنةٌ في إدراكهم هم، لا في عظمة الملك وتنازله. ومهما أُسيء تفسير وفهم ما عمله الملك، فهو لا يقلل من شأنه ولا من شأن ما صنعه.

2- يمكن أن يتنازل الملك فيلتقي بالعبد، لكن العكس غير جائز، فلا يقدر العبد أن يأخذ زمام المبادرة ويلبس ثياباً ملكية، ويذهب لملاقاة الملك! وهذا ما فعله الله، ملك الملوك. فلما عجز الإنسان الخاطئ عن الالتقاء به، خاصةً بعد أن فصلته الخطية عنه، تنازل الله المُحب متراحماً وأخذ زمام المبادرة. والإنسان يفعل ذات الشيء مع ابنه، ويدفع عنه الثمن مهما عظُم. (وقد نرى حاكماً يتحمل عقاب عن ابنه لأنه يحبه).

يقدر الله أن يتّخذ ناسوتاً من جنسنا ليكون فيه فادياً لنا. وهو باتّخاذ هذا الناسوت:

أ- لا ينحصر في مكان ما، لأن اللاهوت لا يتحيَّز بحيِّز. ووجوده سبحانه في مكان (حسب تقديراتنا البشرية) لا يمنع وجوده في مكان آخر في نفس الوقت.

ب- باتّخاذ هذا الناسوت لا يفقد شيئاً من مجده الذاتي، لأن هذا المجد لا يتعرّض للزيادة أو النقصان على الإطلاق .

ج- اتّخاذه هذا الناسوت أمر تتطلبه رغبته في أن تكون لنا جميعاً علاقة صادقة معه، إذ لا يمكن أن تقوم هذه العلاقة إذا ظل بعيداً عن مداركنا، وظلَلْنا نحن بعيدين عن التوافق معه، (وإلا كيف نقول إنه أقرب إلينا من حبل الوريد). لم يكن ممكناً أن يتأله الإنسان ليتواصل مع الله، فتجسَّد الله. في التجسُّد تنازل الله ، فحل مشكلة العبودية* وأصبحنا بنين (يو1: 12).

(مثال: عندما يحب الملك عبداً وبمنطق المحبة يتبناه).

وليست فكرة التجسّد غريبة، فالقول: "بُوركَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا" (النمل 8:27) يوضح لنا ظهور الله (مَنْ في النار) في شجرة تحترق، مع أن النار والشجرة كانت تُعَبد كوثن. وهو في الوقت نفسه (مَن حولها) يملأ السماء والأرض. فبالأولى يظهر في صورة إنسان مخلوق على صورته (كما تقول التوراة، وكما يقول تفسير صحيح مسلم لسورة الرحمن ج 10 ص293).

وفي حديث صحيح آخر يقول نبي الإسلام : "استأذنَ على ربي في داره، فإذا رأيت ربي وقعتُ له ساجداً" (صحيح البخاري تقسيم مصطفى ديب البغا تحت رقم7002). ومن هذا نرى أن التجسّد لا يمنع وجود الله في كل مكان.

4- وخلوّ هذا الناسوت من كل ميلٍ للخطية ممكن، لأن الله عندما يتّخذ لنفسه ناسوتاً لا يحتاج في تكوينه إلى بذرة حياة من رجل ما، لأنه هو الحياة نفسها. وبما أن الطبيعة التي تميل إلى الخطية تنتقل إلى الإنسان بالتناسل الطبيعي، فمن البديهي أن يكون هذا الناسوت خالياً من الطبيعة الخاطئة، ويكون أيضاً (بسبب كماله الذاتي) معصوماً من السقوط في الخطية. وليس المجال هنا للكلام عن توارث الخطية الأصلية التي لحقت بنا بسبب خطية آدم، لكن من المعروف أن آدم الثاني (المسيح) غفر لنا هذه الخطية مجاناً، وعلي العموم لقد وُجِدَ بالدليل العملي أن النفس آمارة بالسوء (يوسف 12: 53)، فالجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله. فكان الاحتياج إلى منقذ

بلا خطية، والمسيح هو الوحيد الذي عاش على أرضنا معصوماً في سيرته الذاتية، (كما بيَّنا ذلك سابقاً).

5- ومساواة نفسه لنفوسنا جميعاً في القيمة لا مجال لمناقشته، لأنه مقترن بالله، وقيمته لا حدَّ لها. فإن هذا الناسوت قدوس كل القداسة، والقدوس أعظم من كل الخطاة بما لا يُقاس.

6- وامتلاك الفادي لناسوته أمر قائمُ، فهو غير مخلوق بواسطة كائنٍ ما، لأن هذا الفادي هو الله، خالق كل الأشياء ومالكها.

7- واحتمال قصاص الخطية عوضاً عنا إيفاءً لمطالب العدالة الإلهية يتوافر فيه أيضاً، لأنه بوصفة الله يحيط بمطالب هذه العدالة، ويقدر أن يحققّها في الناسوت الذي يتَّخذه. واستطاعته أن يرقى بنا إلى حالة التوافق مع الله يتوافر فيه كذلك، لأنه في ذاته هو الله، والله هو الذي يقدر أن يقوم بهذه المهمة.

فإذا درسنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم، فهل نرى شخصاً تتوافر فيه كل شروط الفداء؟ لنرجع لشخص المسيح الفادي:

أ- فهو لم يرث الخطية في طبيعته الإنسانية، لأنه وُلِدَ بدون أبٍ يورّثه الخطية، فقد وُلد من عذراء بقوة الروح القدس (لوقا 28:1).

ب- وعاش المسيح بقوته الذاتية دون خطية. صحيحٌ أنه كانت له كل الإحساسات الطبيعية من شعورٍ بالجوع والعطش والألم والحاجة إلى النوم (متى 2:4)، وهي التي يمكن أن تميل به إلى الانحراف عن حق الله. ولكن بسبب كماله الذاتي لم ينحرف عن الله على الإطلاق، ولذلك كان أسمى من آدم بما لا يقاس. فمع أن آدم خُلق خالياً من الخطية، إلا أنه مال إليها وسقط فيها. على النقيض من المسيح تماماً. (وقد سبق وبيَّنا ذلك في "من هو المسيح").

ج - تساوي نفس المسيح نفوس البشر جميعاً، بل وتفضل عنها قيمة وقدراً، لأنه هو الكامل (كمالاً لا نهائياً). أما هم فبسبب خطاياهم ناقصون. وإن اجتمع بعضهم إلى البعض الآخر، فإن هذا لا يقلل من نقصهم، بل يزيده.

د- ومع ذلك كان المسيح- من الناحية الناسوتية - إنساناً حقيقياً من جنسنا. فجسده وإن كان خالياً من الخطية، كان جسداً مادياً مثل أجسادنا "فَــإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ. اشْتَرَكَ هُوَ (المسيح) أيضاً كَذلِكَ فِيهِمَــا" (عبرانيين 14:2). ولما ظنَّ تلاميذه بعد قيامته أنه روح قال لهم: "أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ، إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَــإِن الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَــا تَرَوْنَ لِــي " (لوقا 39:24).

هــ- ورغم أنه كان إنساناً حقيقياً، كانت نفسه ملكاً له، قال عنها: "لَيْسَ أحَــدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَــلْ أَضَعُهَا (أي أسلّمها) أَنَــا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أيضاً" (يوحنا 18:10). وقد برّهن عملياً على صدق شهادته هذه، لأنه بعدما قدّم نفسه كفّارة عن البشر استردَّها ثانية وقــام من بين الأموات.

و- وكان في إمكان المسيح أن يبعث حياةً روحية في البشر، ترقَى بهم فوق ضعفهم الذاتي وتجعلهم أهلاً للتوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية إلى الآبد. فقد قال عن رعيته:"أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الآبدِ" (يوحنا 28:10).

ز- وكان من الناحية الباطنية هو ذات الله، فاستطاع أن يكفّر عن البشر جميعــاً تكفيراً يوفي مطالب عدالة الله.

وقَبْلَ مجيء المسيح ليقدم نفسه كفّارة عن خطايا البشر نادت شريعة موسى بالذبيحة التي يقدمها المعترف بالخطأ، طالباً غفران الله، فتموت

الذبيحة بدلاً منه، ويحيا هو. وعيد الأضحى ينقل هذه الفكرة نفسها فلقد فدى الله ابن إبراهيم بذْبحٍ عظيم (الصافات 107:37 وفي تفسيرها يقول القرطبي إن الذبيح هو اسحق، لكن المهم إن ما يلفت النظر هو وجوب الذبيحة)، ومن هنا نرى أن سفك الدم والفداء متلازمان مترابطان.

والدليل على أن الله قَبِلَ كفّارة المسيح، أنه عند صلب المسيح انشقَّ حجاب الهيكل مِن أعلى إلى أسفل، بمعنى أن المبادرة جاءت من عند الله، وهذا يعني أن ذبائح شريعة موسى قد انتهت لأنها كانت مجرد رموز لذبيحة المسيح العظمى. وبعد أن جاء المرموز له، وقدم نفسه فداءً للبشرية، توقفت الذبيحة الموسوية، وتحقق في الصليب الوعد الإلهي: " الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلامُ تَلاثَمَـــا " (مزمور 10:85)، وكلمة (الحق) هنا تعني العدل، فالله صالحنا لنفسه في المسيح (2كو 5: 17-19).

إذا كانت لديك تسؤلات أطلب كتاب "كفارة المسيح" فهو يعالج هذا الموضوع بتفصيل أكثر، ففي الفصل الثاني منه تجد كيف تنتفع بكفارة المسيح؟ فلن تجد قبولاً أمام الله إلا من خلال كفارة المسيح الذي يطهر من كل خطية، فلابد أن تقبل عمل المسيح عقلياً بل والأهم قلبياً، بالروح القدس، فتنتفع بكفارة المسيح عن خطاياك وذنوبك، فتجد قبولا أمام الله، وتصبح ابناً روحياً لله (يوحنا 1 : 12).وسنوضح في الفصل القادم حقيقة وفاة المسيح أوكيفية نهاية حياته على أرضنا قبل ان يرتفع إلي السماء.

الــفصــل الــثالــث :

أدلة نقلية على وفاة المسيح

في هذا الفصل نتناول نهاية حياة المسيح على الأرض وبعض الأراء الإسلامية، فنتناول نهاية حياة المسيح في الفكر الإسلامي النقلي، ثم الروايات الإسلامية فالتفاسير المختلفة، ثم نقوم بمحاولات لمصالحة التفاسير المتباينة كما يلي:

أولا: وفاة المسيح حسب النقل:

رأينا فيما سبق أن كفّارة المسيح حتمية تشريعية ، وفرضــية عقليــة. والآن نكمل البحث عنها كحقيقة تاريخية.

الإسلام ووفاة المسيح: يقــول القــرآن إن المــسيح "كَلِمَةُ اللَّـهِ " و"رَوُحٌ من اللَّـهِ"(النساء171:4)، حلَّ في مريم العذراء المطَّهرة والمصطفاة المفضَّلة علــى نساء العالمين (آل عمران42:3)، ومنها وُلد من غير رجل، وعاش قدوساً بــلا

شر(مريم19:19)، ولم يمسَّه الشيطان، ولم يخطئ قط، وتأيَّد بالروح القدس وبالبيّنات، يُبرىء ويُحيي، فيقول: "أُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأبرص وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه"**(آل عمران3: 49). ويقول أيضاً:** "وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْر" **(المائدة 5: 110)، ويرزق الجياع بطعام من السماء (المائدة 114:5)، وهو فوق ذلك** "آيَةً لِلنَّاس وَرَحْمَةً مِنَّا" **(مريم21:19)، (فكيف يكون رحمة من الله؟!) وهو صاحب "البشرى الطيبة" للبشر. وقد كفر به اليهود، واعترفوا أنهم صلبوه، وأنه قد مات. ولكنه بُعث حياً، ورُفِع إلى السماء، وهو الوجيه والشفيع في الدار الآخرة (آل عمران 49:3)، وسيأتي ثانية إلى أرضنا، حَكَماً عادلاً. ومجيئه الثاني هو علامة الساعة وانقضاء العالم.**

ولدراسة موضوع وفاة المسيح نبحث آراء الأئمة حول بعض آيات القرآن، وأهمها ثلاث (مريم 19 :33 والمائدة 5 : 117 وال عمران 3 : 55).

<u>أ – سورة مريم وموت المسيح</u> : تحدثت سورة مريم عن ثلاث مراحل من حياة يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) فقالت :" وَسَلَّام عَلَيْهِ(يحيى) يَوْمَ وُلِدْ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حيّاً " **(مريم 15:19)، قال ابن كثير تفسيراً لهذه الآية: أي له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال، وقال سفيان بن عُيينة: أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن قد عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصَّه بالسلام عليه. ويضيف <u>ابن كثير</u> في تفسير هذه الآية: "المسيح له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشقّ ما يكون على العباد".**

من الواضح جداً أن <u>الأفعال الواردة هنا</u> "وُلد ،يموت، يُبعث" **<u>تتعلق بالحياة والموت فقط</u> دون سواهما، فلا علاقة لهذه الأفعال بالنوم. فقد وُلد المعمدان ومات وسيبُعث حيّاً يوم القيامة. في نفس السورة يقول على لسان المسيح:** "وَالسَّلام علي يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حيّاً ".

ونلاحظ تكرار نفس الأفعال، وبنفس الترتيب الزمني: الماضي فالحاضر عن المسيح، تماماً كما ورد عن المعمدان. فبالقياس (وهو رابع طرق التفسير بعد الرجوع للقرآن والسنة، ثم الإجماع) كما وُلد المعمدان ومات هكذا المسيح وُلد ومات موتاً طبيعياً، ولكنه بعد ثلاثة أيام بُعث حيّاً .

وجاء في مريم 31:19 قول منسوب للمسيح: " وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً"**، يفسرها <u>ابن كثير</u> بقوله: قال عبد الرحمن بن القاسم، عن بن أنس: قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت. فالمسيح يقدم الزكاة مادام حيّاً. فإن كان ارتفع إلى السماء دون أن يموت، فالسؤال هو: <u>لمن يقدم الزكاة في الجنة</u>؟ وإذا كان لم يزل حيّاً في الأرض، فأين هو؟ ومنْ يتناول منه الزكاة؟! واضح أنه <u>قدم الزكاة ما دام حيّاً، ثم انتهىهذا بموته</u>.**

ب – <u>سورة المائدة والوفاة</u>: ورد على لسان المسيح:"وَكُنتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَّا دُمتُ فِيهِم، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْت أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد. وَإِن تَعَذِبهُم فإنهم عِبَادُكَ وَإِن تَغفِر لَهُم فإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزَ الحَكِيمُ " (**المائدة 117:5و118**).

قال <u>ابن عباس</u>: عن النبي أنه قال: "يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عز وجلّ حُفاة عُراة ... يوم القيامة ... وإنه يُجاء برجال من أمُتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول "أصحابي "**، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: كما قال العبد الصالح (الآية)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم". ورواه <u>البخاري</u> عن هذه الآية عن أبي الوليد، وعن شُعبة، وعن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، كلاهما عن المغيرة بن النعمان (ابن كثير في تفسير المائدة 117:5).**

فالمفارقة تمت وقت الوفاة، فعندما أُسلِمَ المسيح للصلب تركه الذين تبعوه وتشتتوا. فأين هو الآن بعد هذه المفارقة التي تمت وقت الوفاة؟

ج – سورة آل عمران والوفاة: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ ا تَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " **(آل عمران 55:3). يقول الإمام الرازي: من مباحث هذا الآية موضع مشكل، وهو أن نص القرآن دل على أن الله تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره، على ما قال:** "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ"، **والأخبار أيضاً واردة بذلك، إلا أن الروايات اختلفت، فتارة يُروى أن الله تعالى ألقى شبَهه علي بعض الأعداء، الذين دلوا اليهود على مكانه حتى قتلوه وصلبوه، وتارة أخرى يُروى أنه رغَّب بعض خواص أصحابه في أن**

يلقى شبهه عليه حتى يقُتل مكانه. فكيفما كان، ففي إلقاء الشَبه إشكالات:

الإشكال الأول: لو جوَّزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة، فإني إذ رأيت ولدي ثم رأيته ثانياً فحينئذ أجوِّز أن يكون هذا الذي رأيته ثانية ليس بولدي، بل هو إنسان أُلقي شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الأمان عن المحسوسات. وأيضاً فالصحابة الذين رأوا محمداً يأمرهم وينهاهم وجب أن لا يعرفوا أنه محمد، لاحتمال أنه ألقى شبهه على غيره، وذلك يقضي إلى سقوط الشرائع، وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة، على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات. كان سقوط خبر المتواتر أولى. بالجملة ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

الإشكال الثاني: وهو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام، بأن يكون معه في أكثر الأحوال. هكذا قال المفسرون في تفسير قوله: "إذ أيَّد تُك بروح القدس"، **ثم إن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل عليه السلام كان يكفى العالم من البشر. فكيف لم يكفِ في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضاً المسيح لما كان قادراً على إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وعلى إسقامهم وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرُّض له؟**

الإشكال الثالث: إنه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة من إلقاء شبهه على غيرة؟ وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة؟ (ولو رفعه الله إلى السماء أمام الناس، وما ألقى شبهه على الغير، لبلغت تلك المعجزة حداً بالغاً).

الإشكال الرابع: إنه إذا أُلقي شبهه على غيره، ثم إنه رُفع بعد ذلك إلى السماء، فالقوم اعتقدوا فيه أنه هو عيسى، مع أنه ما كان عيسى. فهذا كان إلقاءً لهم في الجهل والتلبيس. وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى. (وتلاميذ المسيح كانوا حاضرين، وكانوا عالمين بكيفية الواقعة، وهم كانوا يزيلون التلبيس).

الإشكال الخامس: إن النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها، وشدة محبتهم للمسيح عليه السلام، وغلوُّهم في أمره أخبروا أنهم شاهدوه مقتولاً مصلوباً. فلو أنكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر. يُوجب الطعن في نبوة محمد ونبوة عيسى، بل في وجودهما ووجود سائر الأنبياء، وكل ذلك باطل. (وفي الجواب على هذا الإشكال، يقول الرازي في الأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق إليها الاحتمالات من بعض الوجوه!).

الإشكال السادس: إنه ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً. فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره، لأظهر الجزع، ولقال: لستُ بعيسى بل

إنما أنا غيره، ولبَالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذُكر ذلك لاشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من هذا علمنا أن ليس الأمر على ما ذكرتم، [وهنا ينتقد الرازي المفسرين الآخرين]، (تفسير الإمام الرازي لآل عمران3: 55، والنساء4: 157).

ويتفق الرازي مع ابن كثير في تفسير كلمة "متوفيك". فيقول ابن كثير (في تفسير هذه الآية): "اختلف المفسّرون في قوله تعالى: "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلي"، قال قتادة وغيره: "هذا من المقدَّم والمؤخر، تقديره إني رافعك إليَّ. ومتوفيك إليَّ يعني بعد ذلك". قال بعضهم "متوفيك" أي متمم عمرك،
فحينئذ أتوفاك. فلا اتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائى. ولكن قال طلحة عن ابن عباس: "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ أي مُميتك" [فابن عباس يقول ما يقوله المسيحيون]، وهو يروى أيضاً عن محمد بن اسحق. وعموماً قرينة الآية لا علاقة لها بالنوم. ثم بحث بعضهم في مدة الوفاة والموت. فقال ابن كثير عن وهب بن منبة، قال: " توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه"، وقال محمد ابن اسحق: "والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه". وقال الربيع بن أنس: "إن الله توفاه حين رفعه إلى السماء". ولكن قال اسحق بن بشر عن إدريس عن وهب "أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه". [هذا ما يقوله المسيحيون!].

ثم يستعرض ابن كثير الآراء حول الموت، فيقول: قال مطر الوراق: "إني متوفّيك من الدنيا وليس بوفاة موت". وقال الحسن: "قال رسول الله لليهود: إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة ". وقوله: "وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا "، أي برفعي إياك إلى السماء. يقول ابن كثير: قال الأكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما في الآية: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ " (الأنعام 60:6). والآية: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا" (الزمر 42:39). وكان رسول الله إذا قام من النوم يقول: "الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا" (حديث صحيح أورده ابن كثير في تفسير الآية). وقال مالك: "يُحتمل أنه مات حقيقة وسيحيا في آخر الزمان ... ويقتل الدَّجال" (شرح الآبي والسنوسي للآية).

ولكن يقول الإمام محمد عبده: "إنها وفاة إنسان عادية". ويتبنَّى نفس هذا الرأي د. محمد عمارة الكاتب الإسلامي المعاصر.

وأمام هذا التباين والاختلاف لابد من الرجوع إلى قواميس اللغة وإلى طرق التفسير كالقياس.

قواميس اللغة: في المصباح المنير: توفاه الله أماته، والوفاة الموت (ص667). ولا يختلف المعنى في القواميس الأخرى (مثل مختار الصحاح أو محيط المحيط) عن ذلك، فالوفاة تعني قبض الروح، وتُوفى فلان (على المجهول) تعني قُبضت روحه ومات.

القياس العقلي*: يعتبر القياس العقلي واحد من أهم طرق التفسير ، وهو طريقة منطقية لفهم ما غمض من النص القرآني بمقارنته بالآيات الأخرى، فإذا كان هناك خلاف حول معنى كلمة "متوفيك ". فيجب الرجوع للآيات الأخرى التي وردت فيها "الوفاة"، وعددها 27مرة في 25 آية، وردت آيتان منها فقط فيهما معنى النوم والموت وهما اللتين ذكرهما ابن كثير في تفسيره، (وهما: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ" و"اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفسَ حِينَ مَوْتِهَا "، أما باقي الآيات وعددها 23 آية فالمعنى المقصود فيها هو المعنى الطبيعي المتعارف عليه وهو "الموت" ! فإذا غمض نصٌّ ما، في معنى كلمة "الوفاة"، فيكون بالقياس العقلي (بالتناسب* 93٪) هو "الموت". ثم نعود لقرينة النص للتأكد من

المعنى(100٪)، فمنطقياً وحسب القرينة نجد أن وفاة المسيح تعني موته لمدة ثلاثة أيام ثم الرفع حياً.

وإن كانت الآيات السابقة تقول بالوفاة أو الموت، فهناك آيات أخرى عن قتل الرُسل "وَلَقد آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقفَّيْنَا مِنْ بَعدِهِ بِالرُّسُل، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ. أَفكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهوَى أَنفسُكُمُ استَكبَرْتُم؟ فَفرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفرِيقاً تَقتُلُونَ" **(البقرة 87:2)،**

فكلمة " تَقتُلونَ "**هنا لا لبس فيها، ولا يصح تفسيرها بغير القتل. ولما كان القرآن لم يذكر كيف قُتل المسيح، فالإنجيل هو المرجع الأصلي أولاً وأخراً في هذا الموضوع. (ارجع لرأي العقاد في "من هو المسيح"ص 3).**

" الَّذِينَ قالُوا **(أي اليهود)** إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ. قُلْ قدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلتُمْ ، فلِمَ قتَلتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ " **(آل عمران 183:3) .**

فإذا تقصَّينا الأمر من روايات القرآن نرى أن الرسول الوحيد الذي أتى بالقربان من السماء هو المسيح. فالقرآن يقول: " قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : اللَّهُمَّ رَبَّنَا أنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" **(المائدة 114:5). هناك آيات أخرى تقول بعدم وجود آخر سوى الله باق، فكل نفس ذائقة الموت، وفي (الرحمن 26:55و27)** "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَام"، **فهل مات المسيح أم لم يمت؟! <u>وإن قلنا إنه لم يمت فمنْ يكون ؟!</u>**

وفي (القصص 88:28): " كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ". **من الآيات التي تؤكد مجانية الصواب لمن يتصور أن المسيح موجود في مكان ما، وأنه سيموت قبل يوم الحشر! فقد مات وقام بعد ثلاثة أيام، وهو حي في السماء.**

ثانيا: ما هي الروايات الإسلامية حول الشبيه؟

يقول ابن كثير في تفسيره للنساء 155:4 "وَقتْلِهِمُ الأنبياء بغَيْرِ حَقّ "، **إن ذلك لكثرة إجرامهم (اليهود) واجترائهم على أنبياء الله، فإنهم قتلوا جماً غفيراً من الأنبياء عليهم السلام. ولكن <u>ابن كثير لا يذكر اسماً واحداً</u> من أسماء هؤلاء الأنبياء المقتولين ، بل يقول في نفس القرينة في تفسيره للنساء 157:4** " وَقوْلِهِمْ إِنَّا قتَلنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ " **أي هذا الذي يدَّعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المُشركين (لنبي الإسلام):** "يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" **(الحِجْر 6:15). ثم يقول ابن كثير إن اليهود حسدوا عيسى على ما آتاه الله تعالى من النبوّة والمعجزات الباهرات التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصوّر من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه، بإذن الله عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها. وأجراها على يديه، ومع هذا كذَّبوه وخالفوه... وسعوا إلى ملك دمشق (ليشتكوا عيسى).**

ويضيف ابن كثير أنه كان في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلّهم، ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه، ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه عن الناس. فلما وصل الكتاب امتثل والي المقدس لذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى، وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر. وقيل سبعة عشر نفراً، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هناك. فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: " أيُّكم يُلقى عليه شبَهي وهو رفيقي في الجنة؟" فتطوَّع لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره على ذلك، فأعادها ثانية

وثالثة. وكل ذلك لا يتطوع إلا ذلك الشاب، فقال: " أنت هو ". (على أن الإجماع يقول إن الذي وقع عليه الشبه هو يهوذا لأنه الخائن، لكن شهود العيان من رؤساء الكهنة وغيرهم شاهدوه قبل أن يُسلم المسيح ثم عندما رجع إليهم نادماً ثم شنق نفسه، والكل شاهدوا جثته!)

ويكمل ابن كثير روايته قائلاً: إنه أُلقي عليه شبَه عيسى، حتى كأنه هو. وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنةٌ من النوم فرُفع إلى السماء، فلما رُفع خرج أولئك النفر. فلما رأوْا ذلك الشاب، ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل، وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه، وتبجّحوا بذلك، وسلّم لهم طوائف من النصارى، فظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويُقال إنه خاطبها، والله أعلم. وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

ونحن نسأل ابن كثير: إن كان الشبيه خاطب العذراء، فكيف لم تميّز صوت ابنها؟ وإن كان قد كلّمها فلماذا لم يستغث مستنجداً بها لتعلن أنه ليس المسيح؟ ويختم ابن كثير تعليقاته بقوله: " الله أعلم". فلماذا لم يسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، والقرآن يأمره بذلك في النحل 43:16 والأنبياء 7:21 فيقول: " اسألوا أهل الذِكر إن كنتم لا تعلمون".

أما ابن عباس فقال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه، وفي البيت اثنى عشر رجلاً من الحواريين، فقال إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي [تعليقنا: غالباً ابن عباس يقصد إنكار بطرس ثلاث مرات]. وأضاف: ثم قال: " أيُّكم يُلقى عليه شبَهي فيُقتَل مكاني، ويكون معي في درجتي؟" فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال له (المسيح): اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: " أنا " فقال: "هو أنت ذاك " فأُلقي عليه شبه عيسى، ورُفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء. وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به. وافترقوا ثلاث فرق، قالت فرقة: "كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء"، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة:" كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه" وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: "كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه"، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً" (رواه النسائي عن أبي كريب عن ابن معاوية بنحوه، في تفسير ابن كثير للنساء 157:4).

ونحن نسأل إذا كان هذا الإسناد صحيحاً، فأين كانت تلك الفرقة المسلمة قبل الإسلام بستة قرون؟ وتعتقد الفرقتان أن المسيح هو ابن الله أو الله الظاهر في الجسد، بدون اختلاف. وكل من اختلف معهم فهُمْ الهراطقة الذين رفضتهم المسيحية القويمة.

أما الإمام الرازي فقد أصاب كبد الحقيقة في تفسيره عندما قال:

"شُبه لهم " – مسند إلى ماذا؟ إن جعلتَه إلى المسيح فهو مشبَّه به وليس بمشبَّه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يَجرِ له ذكر. (ويتفق تفسير الكشاف للزمخشري مع ذلك).

وأضاف الإمام الرازي، إن جاز أن يُقال: إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة، فإنّا إذا رأينا زيداً فلعله ليس بزيد، ولكنه أُلقي شبهُ زيد عليه، وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والمُلك موثوقاً به، وأيضاً يفضي إلى القدح في التواتر، لأن خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط

انتهائه في الآخر إلى المحسوس. فإذا جوَّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات جاز الطعن في التواتر، وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع، وليس لمجيب أن يجيب عنه.

والحقيقة الظاهرة: إن الإمام الرازي لم يجد جواباً قاطعاً ولا حلاً شافياً في آراء الذين يتشككون في صلب المسيح، فقال بالنص: "اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وجوهاً ... وهذه الوجوه متعارضة متدافعة. والله أعلم بحقائق الأمور" (الفخر الرازي في تفسير النساء 157:4).

ولو كان الله يقصد (كزعم بعضهم) أن يخلِّص المسيح من الصلب لكان بالأولى خلَّصه بمعجزة ظاهرة قاهرة، ونجَّاه من أيدي اليهود مُظهراً عدم مقدرتهم على إيصال الأذى إليه. ولكن المعجزة التي يتوهَّمون إتمامها لتخليص المسيح لم تفد الفائدة المطلوبة، رغم ما فيها من غش لا يمكن صدوره من الله، لأن هذه المعجزة لم تُظهر لليهود قدرة الله، ولا أظهرت لهم عجزهم. ولو أن الله رأى في الصليب إخلالاً بشرفه الأقدس، فهل يُعقل أن يُجري معجزة الشبيه التي تقيم الدليل على احتقاره فعلاً، مع أنه رفع المسيح إليه لينفي ذلك الاحتقار المزعوم؟

وقال الإمام البيضاوي رُوي أن رهطاً من اليهود سبّوه (يقصد المسيح) وأمه، فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله... وألقى الله الشبه على آخر. فلما خرج ظُن أنه عيسى فأُخذ وصُلب. وقيل كان رجل ينافقه، فخرج ليدل عليه فأُلقي عليه شبَهه، فأُخذ وصُلب وقُتل. وقيل لم يُقتل أحد لكن أرجف بقتله فشاع بين الناس. وقال قوم صُلب الناسوت وصعد اللاهوت" (البيضاوي في تفسير النساء 4: 157). والبيضاوي لا يقول إنه اقتبس تفسيره من وحي الله، بل من أقوال الناس التي يختلف بعضها عن البعض الآخر، مما يدل على أنهم لم يعتمدوا فيها على مصدر حقيقي ثابت، بل على آرائهم الشخصية. ولذلك يمكن القول مع الإمام الرازي: "هذه الوجوه متعارضة متدافعة، والله أعلم بحقائق الأمور"، أي لكل من الناس عقيدته والله أعلم بالحقيقة. (فالنرجع لكلام الله).

ثالثا: ما هي محاولات مصالحة التفاسير؟

وبالرغم من النصوص التي تقول بموت المسيح، فإن هناك مَن ينكرون صلب المسيح، ويتَّمسكون بظاهر نص النساء 4: 157: " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ . وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ . وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً"**. لكن مع تأويل هذه الآية هل يمكن أن نجد برهاناً على الصليب؟ وتأييداً للحقيقة التاريخية التي يشهد لها التاريخ والكتاب المقدس؟ فلنبحث المحاولات التالية لمصالحة التفاسير:**

التفسير الأول: يمكن القول إن هذه الآية تتحدث عن آثار الصَّلب ونتيجته. فإن اليهود لم يحقّقوا غرضهم من موت المسيح، لأن الله رفعه إليه بالقيامة من الموت ثم بالصعود. وفكرة نفي الأثر والنتيجة، لا التاريخ والحقيقة، فكرة قرآنية وردت في البقرة2 : 154 وتكررت في آل عمران 169:3: "وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَ اتاً بَل أَحْيَاء‘‘عِنْدَ رَبَّهِمْ يُرْزَقُونَ ". **فالشهداء ماتوا فعلاً، لكن هدف قتلهم لم يتحقق، لأنهم أحياء عند ربهم. فالشهيد تاريخياً مات، ولكننا نحسبه حياً لأنه كذلك عند الله.**

فلولا موت المسيح لما أُعلنت نصرته على الموت بالقيامة (بالطبع لم يكن المسيح شهيداً، فقد بذل نفسه طوعاً وهو يعلم مسبقاً بطريقة موته).

ويمكننا أن نقول إنه بسبب هذا الموت الجسدي أُعلنت قيمة فداء المسيح،

فإماتته لم تحقق غرض اليهود منها، بل على العكس فإن موته الجسدي أعلن عظمته الروحية، فهو حيّ عند الله. وهكذا نرى أن إنكار الصلب في النساء 157 ينصبُّ على آثار الصلب ونتيجته، وليس على الحقيقة التاريخية، التي لا يمكن أن تُنسخ. فالنسخ للأحكام وليس للتاريخ.

التفسير الثاني: هذه الآية اعتراف صريح من اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، وهي تضرب بكبريائهم عرض الحائط، لأنها تبين أنهم رغم صلبهم للمسيح لم يصلوا إلى هدفهم المنشود، ولم ينالوا غرضهم المطلوب، إذا أقامه الله، وفوّت عليهم ما قصدوه به من إعدام. وما ظهر لهم في صلبه أنه الهزيمة الساحقة له والنصرة الكاملة لهم، كان مجرد ظنّ، فشُبه لهم "أمر القتل"، كما أسنده البيضاوي في بعض تأويلاته، وتصوَّروا أنهم أحكموا الكيد له، ولكن ذهب كيدهم وطاش سهمهم، إذ عاد المسيح حيّاً ورفعه الله إليه، فعظُم شأنه. وانتشرت تعاليمه، وجعل الله الذين اتَّبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة (آل عمران 55:3): إذن شبه لهم أنهم قتلوه لكنه قام منتصراً، وهو حيّ في السماء.

التفسير الثالث: إن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه بأنفسهم، لأنهم كانوا تحت الحكم الأجنبي، وقالوا للوالي الروماني: "لا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا " (يوحنا 31:18). فهم بأنفسهم لم يقتلوا المسيح، بل الرومان هم الذين قاموا بقتله.

التفسير الرابع: إن صلب المسيح (وإن يكن قد تمّ بيد بشرية أثيمة)، ولكنه ما كان ليتم ويُنفَّذ إلا بمقتضى مشورة الله ومحبته للبشر. فما قتله اليهود وصلبوه، ولكن الله بذله فداءً ورحمة للعالمين ثم رفعه إليه. وقد جرى هذا الاصطلاح في القرآن كقوله: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّه قَتَلَهُمْ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى " **(الآنفال 17:8).**

التفسير الخامس: بديهي أن اللاهوت لا يموت، فنحن نؤكد عدم موت المسيح باعتبار لاهوته، ولكننا نؤمن بصلبه وموته باعتبار ناسوته. قال البيضاوي في تفسير: "وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ "**، في شأن عيسى عليه السلام: إنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس، فقال بعض اليهود إنه كان كذاباً فقتلناه حقاً. وقال قوم: صُلب الناسوت وصعد اللاهوت. (للمزيد راجع مذكرات الدفاع عن الإيمان، د.ق. منيس عبد النور).**

والقارئ المنصف يرى أن هذه المعاني هي التفسير الصحيح. أما القول إن الله ألقَى شبه عيسى على رجل آخر وصلبوه عوضاً عنه فهو قول غريب، حسب تفسير الرازي لآل عمران 3: 55 والنساء 4: 157:

لأنه ما الداعي لإلقاء الشبه ؟

وما منفعته للمسيح إن كان سيُرفع ؟

وما منفعته للقتيل وهو يُظلم ؟

وما منفعته لليهود إلا تمكينهم من الاستمرار في مواصلة غيّهم ؟

وما منفعته للناس إلا قلب الأوضاع وتغيير الحقائق ؟

وما منفعته لله؟ فإنه يُظهره (سبحانه) كمخادع! فلو أن الله أراد أن ينقذ المسيح لأنقذه بمعجزة من عنده تتناسب مع كمال قداسته الإلهية.

إن المعاصرين لصلب المسيح شهدوا بالتواتر أنه هو الذي صُلب ومات وقام في اليوم الثالث، وظل هذا التواتر من القرن الأول الميلادي، طوال هذه القرون لم ترد فكرة "الشبه"، وكيف يترك اللهُ الناسَ مخدوعين طيلة هذه القرون؟! (بدعة أن المصلوب كان مجرد طيفاً منيراً ترجع إلى كتب أبوكريفية في نجع حمادي بمصر، وسافر بعض أتباعها إلى الجزيرة العربية). لكن

شهادة التواتر و التاريخ تؤكد حقيقة الصلب. بل والأهـم إن الله لا يمكـن أن يكون مصدراً لخدعة أن المسيح صُلب، وهو لم يُصلب!

رابعا: شهادة نبوات التوراة

قبل أن يسجل الإنجيل تفاصيل حادثة الصلب، وقبل تأكيد نصوص القـرآن لها، فإن أسفار التوراة قد تنبأت بها. وبذلك لم يعد هناك مجال لقول متشكك، أو ادّعاء مدعٍ للطعن في حقيقة حادثة الصلب.

وقد تحققت في المسيح أكثر من 300 نبوة وإشارة توراتية، معظمها عن أسبوع الآلام من الصلب للقيامة. وقد قام بيتر ستونر (وهو عالم رياضيات أمريكي) بحساب نسبة تحقيق 48 نبوة، فوجد أن نسبة تحقيقها بالصدفة هي فرصة واحدة من بين واحد وأمامه 181 صفراً من الفرص (أي $1:1X10^{181}$). (للمزيد راجع "ثقي في السيد المسيح").

وهذه بعض الأمثلة:

تنبأ النبي زكريا عن الثلاثين من الفضة التي قبضها يهوذا ليسلم المسيح قائلا: "فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي ... فَوَزَنُوا أُجْرَتِي: ثَلاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، فَقَالَ لِي الرَّبُّ: أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ، فَأَخَذْتُ الثَّلاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ" (زكريا 12:11و13) .

وسجل البشير متى في إنجيله إتمام هذه النبوة: "حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنْ الاثْنَى عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، وَقَالَ: مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ ؟ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ... حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ، قَائِلاً: قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا فَقَالُوا مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصَرْ! فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ، فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ، وَقَالُوا: " لا يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِي مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ" (متى14:26و15و3:27-8).

لو كان يهوذا هو الذي صُلب لشاع الخبر عند اليهود وغيرهم، لكن شهود العيان شاهدوا جثة يهوذا، الذي شنق نفسه، وبعد أن ثقلت الجثة وقعت على بعض الأحجار فانشقت أحشاؤه. هؤلاء الشهود جميعاً لم يراودهم الشك في موضوع الشبه، ولم يتصوروا أن يهوذا هو الذي صُلب، أو مظلوماً آخر، أو متطوعاً قد تم صلبه .

وتنبأ النبي داود في مزاميره عن ترك الآب للمسيح: "إِلهِي إِلهِي ! لِمَاذَا تَرَكْتَنِي بَعِيداً عَنْ خَلاصِي، عَنْ كَلامِ زَفِيرِي؟ " (مزمور 1:22). وقد سجل البشير متى إتمامها في إنجيله: "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلا: إِلهِي إِلهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " (متى 46:27). (فشهود العيان سمعوه، فإذا كانت هناك شُبهه في الشكل، فماذا عن صوته، الذي سمعه العارفون بالمسيح؟)

وتنبأ النبي داود أيضاً عن شرب المسيح الخل على الصليب: " وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ " (مزمور 21:69). وسجل البشير يوحنا إتمامها : " بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: "أَنَا عَطْشَانُ". وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ. فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ" (يوحنا 28:19 و29).

وتنبأ داود أيضاً عن تقسيم ثياب المسيح بالقرعة، فقال : " يَقْسِمُونَ ثِيَابِي

بَيْـنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ " (مزمور 18:22). وجاء تحقيقها في إنجيل يوحنا: "ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَـذُوا ثِيَابَـهُ وَجَعَـلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَام، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً...وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مِنْسوجاً كُلُّـهُ مِنْ فَوْقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: " لا نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكون" (يوحنا 23:19و24) .

وتنبأت المزامير عن أنه لا تُكسر عظامه: " يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِـهِ. وَاحِـدٌ مِنْهَا لا يَنْكَسِرْ " (مزمور 20:34). وجاء تحقيقها في إنجيل يوحنـا: " فَـأَتَى الْعَسْكَرُ وكَسَرُوا سَاقَي الأَوَّلِ وَالآخَرِ ...وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ " (يوحنا 32:19و 33). وتنبأ النبي زكريا عن طعن جنبه بالحربة، فقال: " فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْه " (زكريا 10:12). وجاء تحقيق هذه النبوة في إنجيل يوحنا: "لكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَـةٍ، وَلِلْوَقْـتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ " (يوحنا 34:19).

خامساً: شهادة الأناجيل الأربعة للصَّلب

لم يرد لفظ " الصليب " في أسفار العهد القديم، لكنه ورد بأكثر من معنى في العهد الجديد، الكلمة التي تترجم حالياً "صليب" تفيد في اللغة اليونانية "آلة تعذيب وإعدام"، ولكنها اكتسبت معنىً خاصاً لارتباطها بموت المسيح، وهناك كلمتان يونانيتان تُستعملان للتعبير عن آلة التعذيب التي نفذ بها حكم المـوت على المسيح:

1-(إكسيلون) (xylon) وتعني خشبه أو شجرة.

2-(استاوروس) (stouros) وتعني صليب بمفهومه الحالي.

الكلمة الأولى(إكسيلون) وردت في العهد الجديد عادة للتعبير عن الخشب كمادة، وهي الكلمة التي وردت في (تثنية 23:21)، والتي اقتبسها بولس الرسول في (غلاطية 13:3) " مَـلْعُونٌ كُلُّ مِنْ عُلِّقَ على خشبةٍ". وقد وردت كلمة (استاوروس) ومشتقاتها في الأناجيل، في قصة صلب المسيح، في (متى 40:27و42ولوقا 26:23ويوحنا 17:19). وفي رسائل بولس سبع عشرة مرة: وردت كلمة "الصليب" سبع مرات، ووردت كلمة "يُصلب" ثماني مرات، وورد تعبير " يُصلب مع " مرتان .

<u>نوع الصليب</u>: هناك نوعان: الأول أقصر وطوله ستة أقدام فقط، وتكون ركبتا المصلوب في وضع منحنٍ (واسمه كروكس هوميليس)، والثاني أطول وأكثر فخامة فهو للشخصيات البارزة (واسمه كروكس سبليموس)، وكان الصليب في بداية الأمر على شكل حرف(T) وليس به مكان لإسناد الرأس. (راجع "صلب المسيح حقيقة لا إفتراء" للدكتور فريز صموئيل).

وقبل أن نسوق شهادة الأناجيل لصلب المسيح، نورد ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "عبقرية المسيح" ص126: "وليس من الصواب أن يُقال إن الأناجيل جميعاً عُمدة لا يُعَوَّل عليها في تاريخ السيد المسيح، إنما الصواب أنها العُمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ... إنها هي العمدة التي اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح. وليس لدينا نحن – بعد قرابة ألفي عام – أحق منها بالاعتماد". لذا نسوق شهادة الرُسل، بل وشهادة المسيح نفسه. (وعن مصدقية الإنجيل راجع من يقدر على تحريف كلام الله؟).

1- شهادة المسيح عن الصليب (قبل الحادثة وبعدها)

أعلن المسيح لتلاميذه في مناسبات عديدة أن عمله الخلاصي يستلزم موته على الصليب، وأبرز تصريح جاء في خطبة وداعه لهم في الليلة التي أُسلم فيها. وإليك بعض إعلاناته عن موته على الصليب لفداء البشر:

-" مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ والْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ"(متى 16:21). ونراه هنا يحدد المدينة التي سيموت فيها.

- " وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "ابْنُ الإنسان سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (متى 17:22 و20:18و19).

- "وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: "تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإنسان يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ"(متى26:1و2). وتراه هنا يحدد الموعد الذي سيموت فيه. "وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإنسان يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّام يَقُومُ " (مرقس 8:31). وقال هذا الكلام علناً. فانتحى بطرس بالمسيح، وقال له: "حاشا لك يا رب" ولكن المسيح قال لبطرس: "اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ، لأَنَّكَ لا تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ"، وقد حدث أن بعض اليونانيين جاءوا إلى المسيح يدعونه لزيارة بلادهم ليجّنبوه الصليب، ولكنه أعلن ضرورة صلبه، وضرب هذا المثل: " إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا. وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ " (يوحنا12: 24و25).

وجاء قادة اليهود للمسيح يطلبون منه معجزة تبرهن أنه من عند الله، فرفض أن يُجري معجزة لقوم يعلم أنهم لن يقبلوا الإيمان به حتى لو أجرى المعجزة، وقال: " لا تُعْطَى لَهُ (ذلك الجيل) آيَةٌ إِلا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ، لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاثَةَ أَيَّام وثَلاثَ لَيَالٍ ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإنسان فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاثَةَ أَيَّام وَثَلاثَ لَيَالٍ " - يقصد بذلك موته ودفنه (متى12:39 و40) .

- لم يكن هناك اعتراض يهودي على الثلاثة أيام وثلاث ليالي، فاليوم يُحسب كاملاً بمجرد مرور جزء منه، كما حدث في صوم الملكة أستير، دخلت للملك في اليوم الثالث (استير5: 1)، مع أنه مفروض أن تدخل بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، فهذه هي طريقة حساب اليهود. وكانوا أولى بالاعتراض إن وُجد!

- " كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الإنسان يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ " (مرقس 9:31) .

-" هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإنسان يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (مرقس 10:33 و34). - " يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإنسان يَتَأَلَّمُ كَثِيراً، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (لوقا 9:22) .

- " وكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإنسان، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأبديةُ" (يوحنا3:14 و15).

ومن الأدلة القاطعة على أن المسيح صُلب أنه بعد الصليب قال لتوما: "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي ، وَلا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً"، أَجَابَ تُومَا: رَبِّي وَإِلهِي" (يوحنا20:27 و 28). فلو لم يكن المسيح قد صُلب ما قال هذا لتوما وللتلاميذ العشرة الموجودين وقت هذا

الظهور المجيد بعد القيامة. فالمسيح صادق بشهادة الجميع، وهو هنا يشهد عن الصلب بعد حدوثه، ويقدم الدليل المادي لمنْ لم يصدق بالإيمان.

ولم تكن هذه المرة الوحيدة لظهور المسيح بعد قيامته، فقد ظهر عدة مرات لمريديه. وكان أكبر عدد منهم رآه لما "ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، لأَكْثَرُ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآن، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا " (يعني وقت كتابة الرسالة –انظُر 1كورنثوس 15:6)، كان هؤلاء وغيرهم شهود للصليب ولموت المسيح وقيامته.

2- شهادة الرسل:

كل من يقرأ سفر أعمال الرسل ورسائل تلاميذ المسيح يلاحظ أن التعاليم التي نشروها وبشروا بها في كل العالم، قامت على المناداة بالمسيح مصلوباً من أجل خطايا العالم. وبعد أيام قليلة من حادثة الصليب، وعلى بُعد أمتار قليلة من مكان الصَّلب في أورشليم، قام بطرس الرسول يقول لليهود: "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ...أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ" (أعمال2: 22و23). فلو أن الصَّلب لم يحدث، لدافع كهنة اليهود وحكام الرومان عن أنفسهم. لكن لم يعترض أحد بل بالعكس لما سمعوا نخسوا في قلوبهم ! وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف شاهد.

وقال الرسول بولس: "نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ... لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ، وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ يُبْطَلُونَ، بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ. الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (1كورنثوس 2:6-8). يوضح الرسول بولس الأمر كله بقوله: "الْكُلُّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ...أَيْ أَنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ...لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ"(2كورنثوس 5:18-21).

وقد سجل الرسول بولس لنا قانوناً مختصراً للإيمان، قال فيه: "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنجيل الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أيضاً تَخْلُصُونَ ... فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أيضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (1كورنثوس 15:1-4).

– وقال الرسول يوحنا: "إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْض، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (1يوحنا 1:7)

وما قدمناه هو مجرد أمثلة لشهادات الرسل، الذين قدموا الفكر دون محاولة تقديم أدلة، فلم يكن الصليب في قرون المسيحية الأولى موضوع جدل ولا اعتراض من أحد، فعرض رُسُل المسيحية الحقائق في سلاسة ويسر، لأن قرّاءهم يعرفون الحقيقة.

3- برهان سيكولوجي (نفسي)

ليس الصليب إلا أداة موت، فكيف افتخر الرسل بموت قائدهم ؟

الإجابة: لأن هذا الموت بالصليب قد حدث فعلاً، ولأن نتيجة الصليب كانت بركة عظمى. ونسوق مثلاً قدمه د. ق. منيس عبد النور للتوضيح، قائلاً: لو قام قائدُ بثورة ضد المستعمر فشنق المستعمرون القائد. ولم يهدأ الشعب بعد شنق قائدهم، فقاموا بثورة كبرى ضد المستعمِر نتج عنها هزيمته وخروجه من بلدهم. فقرر أنجال ذلك القائد وأحفاده أن يفتخروا بوالدهم وجدّهم هذا الشجاع، بأن يعلّقوا على صدورهم رسماً للمشنقة، وبأن يسمّوا أنفسهم"عائلة

المشنوق". لقد افتخروا بالمشنقة، لا لأنها أداة إعدام، بل لأن والدهم وجّدهم هو الذي مات عليها، وكانت نتيجة موته أن تحرر وطنه.

لكن لو افترضنا أن إعدام هذا القائد كان عبثاً، فلا المستعمر خرج، ولا الشعب انتصر، فلن يفتخر أحد بنَسَبه إليه! ولو افترضنا أن المستعمرين جاءوا ليمسكوا ذلك القائد، فأخطأوا وألقوا القبض على غيره، فإن المستعمر سيبقى، والشعب لن يفتخر بهذا القائد، لأنه لم يمت بل "شُبه" للمستعمرين وأخذوا غيره! فافتخار الرسل والمسيحيين بالصليب يؤكد حقيقتين:

أ – لابد أن المسيح هو فعلاً الذي صُلب، فلو أن الشبيه هو الذي أُلقي القبض عليه لما استطاع أن يُجري معجزة شفاء أذن ملخس التي قطعها سيف بطرس. ولو أن الشبيه هو الذي صُلب لما قام من الموت في اليوم الثالث. ولو أن يهوذا هو الذي صُلب بدلاً من المسيح لما وجدوا جثته بعد انتحاره أسفاً على خيانته لسيده! ولا فرغ قبره الذي يزوره الناس من كل العالم.

ب – إن هناك نتائج إيجابية للصليب، أهمها الكفّارة التي تستر خطايا البشر.

4– شهادة التواتر:

منذ البداية رفع المسيحيون الصليب على كنائسهم وصدورهم، وعلى تيجان الملوك، وعلى أعلام بعض دولهم، وفي كل مكان ينتموا إليه حتى على مقابرهم! وفي المتحف الروماني بالإسكندرية بمصر توجد مومياء من القرن الأول الميلادي، وعليها علامة الصليب من الخارج.

<u>مثال</u> <u>"المحكمة"</u> <u>للكاتب</u> <u>السابق</u>: لقد توّفر عدد لا يُحصى من شهود الصليب والموت والقيامة. فلو تصوّرنا أننا في محكمة يتفق فيها كل الشهود في التعرُّف على القتلة، ويعترف القتلة بأنهم خططوا للقتل ونفَّذوه. أما المجني عليه فقد سبق وقال إنهم سيقتلونه. <u>ثم توفَّر لنا شيء غريب، وهو أن هذا القتيل (بعد موته وبعثه) شهد بنفسه أن هؤلاء هم الذين قتلوه !</u> (وهذا ما حدث مع المسيح المصلوب المقام، عندما ظهر لتوما والتلاميذ)، فلا نعود نحتاج لأي دليل آخر على حدوث جريمة القتل. ولن نشك، خصوصاً وأن الذي يشككنا جاءنا بعد حادثة الصليب بعِدِة مئات من السنين، وهو ليس شاهد عيان، كما أنه لا يملك من البراهين ما يبني عليه إنكار تاريخية الصلب.

وهناك برهان آخر نسوقه على صدق حادثة الصليب، وهو أن الذين جذبهم المسيح إليه بموته كانوا أكثر من الذين جذبهم إليه أثناء حياته على أرضنا. ونحن عادة نقول: لو عاش البطل الفلانى أكثر لأنتج أكثر، ولكن موته في ريعان الشباب أوقف إكمال عمله. غير أن الأمر مختلفُ تماماً مع المسيح، فإن صليبه كان القوة التي جذبت الكثيرين إليه ليتبّعوه ويضحّوا شهداء في سبيله. وقد قال المسيح: " وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ (يقصد موته مصلوباً) أَجْذِبُ إِليَّ الْجَمِيعَ " (يوحنا 32:12) وهذا ما حدث فعلاً.

قوانين الإيمان والممارسات

تؤكد قوانين الإيمان منذ بدئها أن المسيح صُلب في عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر وقام ظافراً. والممارسات المسيحية منذ البداية كالعشاء الرباني والمعمودية كلها تؤكد ذلك، فهما رمز وذكرى لموت المسيح وقيامته.

وتغيير يوم العبادة من السبت إلى الأحد يعلن احتفال المسيحيين بقيامة مسيحهم من الموت بعد صلبه يوم الجمعة وقيامته فجر الأحد.

سادساً: براهين على الصليب من خارج التوراة والإنجيل

وهناك براهين من غير المسيحيين على أن الصليب حقيقة تاريخية نذكر بعضها:

1- شهادة اليهود(الذين صلبوه):

والاعتراف سيد الأدلة، القاتل معترف ولا يختلف معه القاضي ولا الشهود (كما في مثال المحكمة). لو أن الصلب لم يحدث لدافع الكهنة اليهود والحكام الرومان عن أنفسهم بأنهم غير مسئولين عن قتله. ولكننا نجد عند اليهود الأدلة التالية:

أ- جاء في التلمود: وهو أهم كتب اليهود الدينية بعد التوراة: "صُلب يسوع قبل الفصح بيوم واحد" (فصل السنهدرين ص 43 لسنة 1943 - طبعة أمستردام) .

ب- فلافيوس يوسيفوس: وهو من أعظم المؤرخين في زمن المسيح، وكان قائداً للقوات اليهودية في الجليل سنة 66م. وكتب تاريخهم في عشرين مجلداً قال: "كان يسوع الرجل الحكيم إن كان يحقُّ لي أن أدعوه رجلاً، لأنه عمل أعمالاً عجيبة، وعلَّم تعاليم قِبلها أتباعه بسرور فجذب لنفسه كثيرين من اليهود والوثنيين ...وحُكم عليه بالصلب بناءً على إلحاح قادة شعبنا. ولم يتركه أتباعه، لأنه ظهر لهم حيّاً في اليوم الثالث".

ج - الحاخام يوحنا بن زكا: وكان تلميذاً لهليل الشهير (صاحب أحد أكبر مدرستين في الفكر اليهودي وقت المسيح)، ومن هنا تنبع أهمية شهادته التي تطابقت مع شهادة فلافيوس يوسيفوس السابقة.

د - الحاخام العالم يوسف كلوزمر: كتب في العصر الحديث كتاباً عنوانه "يسوع الناصري"، جاء فيه: "إن الأناجيل سجلات صحيحة، وأن يسوع الناصري عاش ومات وفقاً لها". وهذه هي شهادة تتفق مع شهادة العقاد في كتابه "حياة المسيح" ص 126 كما سبق وشرحنا.

2- شهادة المستندات التاريخية الرومانية:

بالإضافة لشهادة الجنود الرومان شهود العيان نجد الآتي:

أ - عثر عالم ألماني على الرسالة التي رفعها بيلاطس البنطي الذي حكم بصلب المسيح، إلى طيباريوس قيصر مبُـيّـناً له فيها الأسباب والظروف التي دعت إلى ذلك، وأوُدعت بمكتبة الفاتيكان، (ونُشرت ترجمتها في مجلة Witness Tower Zeiroun في فبراير 1892).

ب- اكتشف الجيش الفرنسي في البندقية سنة 1280م صورة الحكم الذي أصدره بيلاطس وحيثيات الحكم على المسيح بالصلب.

ج - كرنيليوس تاسيتوس: وهو حاكم آسيا الصغرى سنة 112م، وكتب يدين نيرون، وقال عن المسيح: "إنه قُتل في عهد بيلاطس البنطي (حاكم اليهود أثناء سلطنة طيباريوس)، وأمكن مبدئيا السيطرة على خرافته، ولكنها عادت وانتشرت لا في اليهودية فقط، حيث نشأ هذا الشر، بل في كل روما".

3- شهادة فلاسفة الوثنيين ومؤرخيهم:

أ - لوسيان: (وهو مؤرخ يوناني ولد سنة 100م)، تحدث باحتقار عن المسيحية، وقال: "مات المسيح في فلسطين لأنه جاء بديانة جديدة للعالم، وقال لأتباعه إنهم إخوة، ورفضوا آلهة اليونان. وعبدوا السوفسطائي المصلوب".

ب – تاسيتوس: (المؤرخ الشهير الذي ولد سنة 25 م)، وتقلّد منصب القضاء، وكتب تاريخ الإمبراطورية الرومانية في 16 مجلداً. قال: " لُقّب الذين كان نيرون يضطهدهم بالمسيحيين نسبة لشخص اسمه المسيح حكم عليه بيلاطس البنطي بالقتل في عهد طيباريوس قيصر ".

ج – كلسوس الفيلسوف الآبيقوري: (ولد سنة 140م)، وكان من ألد أعداء المسيحية، أيَّد في كتابه "البحث الحقيقي" صلب المسيح، وقال ساخراً من الغرض من الصليب " احتمل المسيح آلام الصليب لأجل خير البشرية ".

(للمزيد راجع رسالة دكتوراه الفلسفة عن "تفسير كفارة المسيح" للدكتور داود رياض).

الفصل الرابع: أدلة عقلية على صلب المسيح

نقدم في هذا الفصل دليلين عقليين، لا يدعان مجالاً للشك أن المسيح صُلب وقام. وهما: أولا: القبر الفارغ. ثانيا: كفن المسيح.

أولاً: القبر الفارغ

المقصود منه قبر المسيح الذي دُفن فيه بعد صلبه، فقد خلا من جسده بعد دفنه بثلاثة أيام. ولا يوجد تفسير معقول لهذا إلا في نصوص الإنجيل.

إن خلوّ قبر المسيح من جسده هو من أقوى الأدلة على القيامة. ولم يستطع مؤرخ عادل أن ينكر حقيقة فراغ القبر. فلقد ربح تلاميذ المسيح كثيرين آمنوا بالمسيح رغم عداوة السامعين، بعد أن أعلنوا خبر القيامة وهم على بُعد قريب من القبر، بعد أيام قليلة من خلوّ القبر من الجسد، وقريب من المكان الذي أُودِع فيه. وكان يمكن لمن يشاء من السامعين أن يذهب إلى القبر الفارغ ليتأكد بنفسه. فهل كان من الممكن أن يربح التلاميذ كل هؤلاء، لو أن جسد المسيح كان مسجى في قبره؟

وهل يمكن أن يقبل الكهنة والفريسيون وقادة اليهود ما أعلنه التلاميذ لو لم يكن القبر فارغاً فعلاً؟! إن حقيقة قيامة المسيح ما كان يمكن أن تعلن في أورشليم لو لم يكن المسيح قد مات وقام فعلاً (راجع أع2: 36–38).

موقف الإسلاميين من قضية القبر الفارغ:

لم تحظ قيامة المسيح من بين الأموات رغم خطورتها وأهميتها باهتمام الباحثين الإسلاميين، ولم يصل إلى حدّ علمنا أن أحداً من المسلمين المهتمين

بعلم مقارنة الأديان – على كثرتهم – قد استقلَّ ببحث قدَّم فيه حلاً للغز القبر الفارغ. الذي يمكن صياغته كما يلي:

لو أننا سايرنا المسلمين في اعتقادهم أن الصلب قد وقع تاريخياً، ولكن على إنسان آخر شبيهٍ بالمسيح، فإن على المسلمين أن يسايرونا أيضاً في أن هذا المصلوب نزل من على صليبه ودُفن. ومن هنا تبدأ قضية القبر الفارغ، فإن التاريخ يؤكد لنا أن تلاميذ المسيح ذهبوا إلى القبر في اليوم الثالث فوجدوه فارغاً، وأن الحجر الضخم الذي كان يسدّ باب القبر وخُتم بالخاتم الروماني قد زُحزح.

وبناءً على هذا فإن المسلمين عندما أنكروا صلب " يسوع " وجب عليهم أن يجيبوا على سؤالين:

1–أين ذهب جسد المصلوب، – أياً كان الشخص المدفون فيه؟

2– ومن الذي دحرج الحجر الضخم الذي كان يسدّ باب القبر، رغم وجود حراسة الجنود الرومان المشدَّدة ؟ (ارجع لكتاب "مَنْ دحرج الحجر؟" لكاتبه المحامي فرانك موريسون).

قال الإمام محمد أبو زهرة في كتابه "محاضرات في النصرانية": " لم يبيّن القرآن ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه – على الخلاف في ذلك – ولا إلى أين ذهب ... وليس عندنا مصدر صحيح يُعتمد عليه. فلنترك المسألة ونكتفي باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يُصلب. ولكن شُبِّه لهم ".

في مقابلة لأمير ريشاوي مع أحد علماء الأزهر قال: "إن قضية القبر الفارغ لا ناقة لنا فيها ولا جمل، فإن القرآن قد حسم قضية الصلب بقوله: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ". أما البحث عمَّن دحرج الحجر، وما مصير الجسد المصلوب، فهذا من شأنه الاعتراف الضمني بالصلب الذي نفاه القرآن!

ويقول أمير ريشاوي إن قضية القبر الفارغ لا يمكن أن تُحل بآية القرآن السابقة، لأن القضية المطروحة الآن ليست قضية " مَنْ صُلب؟ " فهذه مسألة مُختلف عليها، وقد عالجناها. لكن القضية الحالية هي قضية جسد " الشبيه ". فإن إجماع المؤرخين بما فيهم القرآن على وقوع حادثة الصلب قد دفع بالتساؤل عن مصير الجسد الذي صُلب، وأصبح إيجاد تفسير لخلوّ القبر، من الجسد في اليوم الثالث من دفنه، ضرورة يحتّمها الحوار الهادف.

هل هناك بديل للقول إن المسيح جاء ليخلص الخطاة، وليقوم بالفداء؟ لقد صار نائباً عن البشر ودفع الدّيْنَ كله عنهم، ليرفع وزر الخطية. ومن خصائص فداء المسيح أنه لا يكتفي برفع الخطية عن الإنسان، بل إنه يشفيه منها. فكل من يقبل المسيح تتجدد حياته وتتغيَّر فيصبح إنساناً جديداً. ليت اختبارك يكون ما قاله بولس رسول المسيحية: "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا " (1تيموثاوس 15:1).

ثانياً: كفن المسيح

هذه دراسة تُعدّ علمية موثَّقة، تؤكد وقوع حادثة صلب المسيح، وقد وقَّع عليها أكثر من أربعين عالماً في مختلف فروع العلم، من بلاد متفرِّقة كأمريكا وفرنسا وسويسرا والنمسا وإنجلترا. ولم تموِّل هذه الدراسة أية هيئة مسيحية، بل درس هؤلاء العلماء الكفن للبحث العلمي وحده، ودرسه بعضهم لتفنيد رأي الكنيسة. وكان بعضهم يقرأ الإنجيل ليجد فيه دليلاً على عكس ما تنادي به الكنيسة. كما مع موريسون.

كفن المسيح محفوظ بكاتدرائية يوحنا المعمدان بمدينة تورينو بإيطاليا. وقد رفضت السلطات الكنسية أن يفحص أحدُ من العلماء الكفن. وكان هذا لحكمةٍ إلهية، حتى يأتي السماح بهذا العمل في وقت تتوفر فيه الإمكانيات العلمية الحديثة. ويرى الباحثون توافقاً كاملاً بين أوصاف كفن تورينو وما جاء في الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح:

فالكفن عبارة عن قطعة واحدة من الكتان الآبيض ، طوله حوالي أربعــة أمتار وربع المتر، وعرضه متر وربع المتر، وفي الكفن صورة أمامية وأخرى خلفية لإنسان طوله 181 سم والصورة ســلبية (نيجــاتيف Negtive) <u>وهــو وضع مستحيل، فلا يمكن لأي فنان أن يرسم صورة "نيجاتيف</u> ".

ولا توجد حدود للصورة لأن التصوير لم يُعرف إلا منذ مائة عام تقريباً. وبناء على طول الكفن، وعلى حبوب اللقاح العالقة به قال علماء الأجناس إنه لإنسان طويل القامة من شعوب البحر المتوسط.

ولقد تعّرض الكفن للحريق سنة 1532م نتيجة حرق الكنيسة كلها، واحترق الصندوق الذي يحتوي على الكفن، ولكن الكفن نفسه لم يتأثر إلا باحتراق طفيف في أطرافه، وقد بحث العلماء عن نوع الأصباغ التي يمكن أن تكون الصورتان قد رسُمتا بها، ولكنهم لم يجدوا أي نوع من الأصباغ، فالصورة موجودة لأكثر من فتلة واحدة في النسيج. قال علماء التشريح والطب الشرعي إن الصورة التي للإنسان الذي وُضع في الكفن تدل على أنه في الثلاثينيات، كان يؤدي عملاً يدوياً شاقاً : عرفوا ذلك من الآثار التي في اليدين. وقالوا إن الكتف الأيمن مرتخٍ عن الكتف الأيسر نتيجة العمل باليد اليمنى. وكانت رجله الشمال موضوعة على رجله اليمين، والمسمار في المشط بين السلامية الثانية والثالثة. والمسمار الذي سُمِّر في اليدين (ليس كما تصور الفنانون في الكف بل في عظام الرسغ. والعظام لم تكسر (حسب النبوات)، وعلى رأسه تاج عبارة عن طاقية شوك مغروسة، كانت آثارها من الجبهة حتى قمة الرأس. وآثار الدماء على الوجه تأخذ منظراً متعرجاً نتيجة تقلّص عضلات الوجه بسبب الآلام الشديدة. وقال العلماء إن الكفن لإنسان صُلب، فقد شاهدوا سير الدماء في اليدين. وقاسوا الزاوية بين الرأس وبقية اليد فوجدوها 65 درجة، ووجدوا أن الكتف فيه آثار حمل الصليب، وتوجد كدمات كثيرة جداً في الوجه وأجزاء متورمة، كما يوجد قطع على شكل مثلث في الخد الأيمن من كثرة اللطم.

أما الجراحات الموجودة بالظهر فكانت في شكل دائرتين غائرتين متصلتين ببعضهما نتيجة الضرب بالسياط. ثم بحثوا عن أنواع السياط التي جُلد بها فوجدوا أنه سوط روماني مثل العيّنات المحفوظة منه بالمتاحف، وهو سوط ذو ثلاث شُعب، تنتهي كل شعبه بقطعتين معدنيتين.

وقالوا إن هذا الإنسان تناوب على جلده اثنان، وكان الذي يضرب من جهة اليمين أطول من الذي يضرب من جهة الشمال، والضارب القصير من جهة الشمال كان قاسياً لأن ضرباته تركت أثراً أعمق من الضارب في جهة اليمين.

وهناك فتحة في الجنب الأيمن سالت منها كمية دماء كبيرة، يشبه شكلها مقدَّم الرمح الروماني، كورق الشجرة، والفتحة بمَيْل وموجودة بين الضلعين الخامس والسادس. وهناك آثار ماء سائل، قال بعض العلماء إنه من السائل المحيط بالقلب، لكن كميته قليلة، (والمسافة بين القلب والغشاء المحيط به قد تزداد من نصف مليمتراً إلى نصف سنتيمتراً في حالة الإجهاد الشديد جداً).

وقالوا إن القلب يمكن أن يفرز إفرازاً أكثر نتيجة للإجهاد الكثير. وهناك رأى ثانٍ لفريق آخر من العلماء قال إن هذا الماء من السائل المحيط بالرئتين، ويمكن أن تزداد كميته نتيجة الشد العضلي. ومهما كان الرأي الأرجح، المهم أن الكل يتفق على وجود ماء نزل مع الدم كما يقول الإنجيل.

موطن الكفن

يقول علماء النبات إنه يمكن معرفة موطن صاحب هذا الكفن بفحص حبوب اللقاح اللاصقة بقماش الكفن، ويقاس حجمها بواحد من المليون من المليمتر، ولا ترى إلا بالميكروسكوب الإلكتروني. وقد أخذوا بعض التراب اللاصق بالكفن ودرسوه لمدة ثلاث سنوات لمعرفة النباتات التي تتبعها حبوب اللقاح، وأين تنمو؟ فوجدوا أن هذا النبات كان موجوداً في مرسيليا، وباريس، والقسطنطينية، وقبرص، وصور، وصيدا. لكن إلى جانب ذلك وجدوا مجموعة من حبوب اللقاح لم يتوصلوا إلى حقيقتها ولا إلى مكان وجودها. وأقام أحد العلماء لمدة ستة شهور في أورشليم. وهناك وجد النباتات التي لا تنمو إلا فيها، والتي تتبعها حبوب اللقاح التي كانت موجودة في كفن تورينو.

عمر القماش

بحثوا أيضاً عن عمر قماش بواسطة تجربة الكربون 14 المشع، فوجدوا أنه يرجع لحوالي ألفي سنة. أما عن صورة وجه المسيح المطبوع فلا تَتَفق مع ما رسمه فنانو أوربا، ولكنهم وجدوا تطابق الرسوم الموجودة في الكنائس الشرقية التي رُسمت في قرون المسيحية الأولى. أقرب الصور إليها هي صورة رسمها كيرلس الكبير البطريرك الإسكندري الرابع والعشرون في القرن الخامس، وصورة أخرى في كنيسة " أيا صوفيا"، وثالثة في إحدى كنائس سورياً.

غياب البُعد الثالث

أي صورة لها بُعد ثالث، ماعدا صورة الكفن فليس لها بُعد ثالث، رغم استعانة العلماء بأجهزة البحرية الأمريكية شديدة الدقة ، والصورة بلا رسم ولا أصباغ، قالوا: ربما تعرَّض هذا الكفن لإشعاع مُعيّن لكن علماء الطاقة الذرية نفوا معرفتهم لإشعاع يطبع الصورة. وأخيراً قالوا إنه يُحتمل أن هذه الصورة تكون قد تكوَّنت نتيجة خروج شعاع ما، وقت قيامة المسيح. (و إذا كان هذا الملخص غير كاف راجع كتاب "الكفن المقدس" لأي كاتب، فالكل متفق على الحقائق السابق ذكرها).

<u>تعليق</u>: أشاع البعض أن الكنيسة أوقفت البحث في موضوع الكفن لأنه ليس للمسيح! ومهما كان، فإننا لا نبني إيماننا على مجرد وجود الكفن. فحقيقة موت المسيح وقيامته أرسخ من آية حقيقة تاريخية أخرى. فلو لم يكن كفن تورينو خاصاً بالمسيح فهذا لا ينفي موت المسيح وقيامته. وهنا أطلب إلى القارئ الكريم أن يجلس في هدأة غرفته ويفكر تفكيراً رزيناً جدّياً مسترشداً بالله ليوضح له الحقيقة، وليهديه للمعرفة الحقة للمسيح، فهو الطريق إلى الله وهو الحق وهو الحياة الأبدية.

<u>ملاحظة</u> : أرجو أن يرجع القارئ إلى كتاب "منْ دحرج الحجر؟" فكاتبه فرانك موريسون قام ببحث دقيق في الوثائق والمخطوطات القديمة، في محاولة لدحض تاريخية القيامة، ولكن الله قاده لما سجّله في ذلك الكتاب، بعد أن أبحرت سفينة حياته على عكس ما اشتهي في البداية، فانتقل من الشك إلى الإيمان.

مراجع

1) رسالة دكتوراه عن: " تفسير كفارة المسيح في بيئة عربية (Ph D/ ICS

2) اسكندر جديد "الخطية والكفارة في الإسلام والمسيحية"

3) اسكندر جديد "الصليب في الإنجيل والقرآن"

4) د. داود رياض "حتمية الكفارة" راجعه وزاد عليه أمير ريشاوي

5) د. داود رياض "شخصية المسيح"، و طبعة "من هو المسيح؟"

6) "الكفن المقدس" أبروشية طنطا (ابريل 1983)

7) عباس محمود العقاد "عبقرية المسيح"

8) معجم ألفاظ القرآن"، محمد عبد الباقي

9) "مفردات ألفاظ القرآن"، الراغب الأصفهاني

10) تفسير ابن كثير

11) التفسير الكبير للإمام الرازي

12) تفسير الكشاف للزمخشري

13) تفسير البيضاوي

14) تفسير الجلالين

15) صحيح البخاري (تقسيم د. مصطفى ديب البغا)

16) الأحاديث الصحيحة "مشكاة المصابيح"

17) قاموس " المصباح المنير، ومختار الصحاح، ومحيط المحيط "

18) عبد الوهاب النجار " قصص الأنبياء "

19) خليل عبد الكريم "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية"

20) د. سان كلير تِسدَل / " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام"

21) عوض سمعان " كفارة المسيح"

22) فرانك موريسون "منْ دحرج الحجر؟ "

23) الإمام محمد أبو زهرة" محاضرات في النصرانية"

24) التلمود فصل السنهدرين ص 43 لسنة 1943 – طبعة أمستردام

الخلاصة

يبحث الإنسان في حياته عن أمور مادية كثيرة، لكنها لا تعطيه إلا شبعاً مؤقتاً، لكن عندما يبحث عن الشبع الروحي فإن غاية ما يتطلع إليه هو الحصول على الغفران ليكون في سلام حقيقي مع الله. ويتفرد الفكر المسيحي بأن الله يحب الإنسان محبة غير مشروطة، فهو يحب الجميع حتى الخطاة، هكذا أحب الله العالم حتى بذل المسيح فدية وكفارة لفداء البشرية (يوحنا 3 : 16).

وفي محبة الله الفردية لكل إنسان يعطيه الفرصة أن يصبح ابناً روحياً لله (يوحنا 1 : 12)، ليس هذا فحسب بل إن روح الله القدوس يؤكد للإنسان غفران خطاياه، والنتيجة الطبيعية أن الإنسان يصبح في سلام مع الله، وهي قمة السعادة الحقيقية عندما يتأكد أن الله يؤكد له غفران خطاياه ويرتضي أن يقيم علاقة روحية معه تبدأ الآن وتستمر في الحياة الآخرة.

يقدم هذا الكتاب الإجابة على أهم التساؤلات: ما هو المطلوب لغفران الخطايا؟ ولماذا تعجز أعمالنا عن تحقيق الكفارة والغفران؟ ما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في حضرة الله؟ وكيف قدم الله الغفران لخطايانا.

وعندما قدمت الأدلة النقلية على صلب المسيح ألحقتها بالبراهين التاريخية، ولم يكن المقصود إثبات موت المسيح وقيامته فهي حقيقة أثبت من التاريخ نفسه، و نحن نعتمد على الإيمان أكثر من أي دليل منطقي، وطوبى للذين آمنوا ولم يروا، فنحن نؤمن بالله مع أننا لا نراه.

إن كان لديك أسئلة أو تعليقات أرسلها لنا على: 7 ش الشيخ ريحان، جاردن سيتي – القاهرة. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة

الخلاصة

يبحث الإنسان في حياته عن أمور مادية كثيرة، لكنها لا تعطيه إلا شبعاً مؤقتاً، لكن عندما يبحث عن الشبع الروحي فإن غاية ما يتطلع إليه هو الحصول على الغفران ليكون في سلام حقيقي مع الله. ويتفرد الفكر المسيحي بأن الله يحب الإنسان محبة غير مشروطة، فهو يحب الجميع حتى الخطاة، هكذا أحب الله العالم حتى بذل المسيح فدية وكفارة لفداء البشرية (يوحنا 3 : 16).

وفي محبة الله الفردية لكل إنسان يعطيه الفرصة أن يصبح ابناً روحياً لله (يوحنا 1 : 12)، ليس هذا فحسب بل إن روح الله القدوس يؤكد للإنسان غفران خطاياه، والنتيجة الطبيعية أن الإنسان يصبح في سلام مع الله، وهي قمة السعادة الحقيقية عندما يتأكد أن الله يؤكد له غفران خطاياه ويرتضي أن يقيم علاقة روحية معه تبدأ الآن وتستمر في الحياة الآخرة.

يقدم هذا الكتاب الإجابة على أهم التساؤلات: ما هو المطلوب لغفران الخطايا؟ ولماذا تعجز أعمالنا عن تحقيق الكفارة والغفران؟ ما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في حضرة الله؟ وكيف قدم الله الغفران لخطايانا.

وعندما قدمت الأدلة النقلية على صلب المسيح ألحقتها بالبراهين التاريخية، ولم يكن المقصود إثبات موت المسيح وقيامته فهي حقيقة أثبت من التاريخ نفسه، و نحن نعتمد على الإيمان أكثر من أي دليل منطقي، وطوبى للذين آمنوا ولم يروا، فنحن نؤمن بالله مع أننا لا نراه.

إن كان لديك أسئلة أو تعليقات أرسلها لنا على: 7 ش الشيخ ريحان، جاردن سيتي – القاهرة. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة

ترسل إلى الأهرام أو نبذة ميل جبسون

المسيح أمات الموت

جاء المسيح إلي أرضنا في ملء الزمان، فدخل أرضنا بطريقة إعجازية، وفي حياته استجمع أهم المعجزات الباهرات، وخرج من عالمنا بأعظم المعجزات. فبموته وقيامته أمات الموت أي أبطل الموت فصارت لنا الحياة الفضلى (يوحنا 10:10)، وهي تبدأ هنا ولا تنتهي للأبد!

فبعد الموت الجسدي لنا حياة أبدية في السماء، حيث ما لم تراه عين ولم تسمع به أذن، ذلك ما أعده الله للذين يحبونه، فكل الذين قبلوا عمل المسيح الكفاري أعطاهم الله سلطاناً أن يصيروا أولاد روحيين لله (يوحنا 1: 12). الإنسان يخاف الموت، لكن المسيح جاء ليموت صلبا، فقدم نفسه فدية وكفارة لأجل البشرية، فجذب إليه الجميع (يوحنا 12: 32). فعلى الصليب تلاثمت عدالة الله مع رحمته (مزمور 85 :10)، لقد دفع عنا الدين دين خطايانا، ومن يقبل عمل المسيح ينتقل من الموت إلى الحياة الأبدية.

وإذا كان ميل جبسون قد بالغ قدر إمكانه في تصوير عذاب المسيح، فقد تحمل ذلك الممثل، لكن حقيقة آلام المسيح أقصى من أن يتصورها بشر!